

تأليف

الشيخ العلامة الإمام عبد الرحمن البسطامي

توفي سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م

طبعة جديدة نشرها وحققها

الدكتور/ عبد الحميد صالح حمدان

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث - الجزيرة للنشر والتوزيع

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

ت : ٢٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع : ٢٠٠٩ / ٢٠٦٨٩

الترقيم الدولى
١/ ٢٢٥ / ٣١٥ / ٩٧٧ / ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله، أحمده أفضل الحمد وأكمله، وأستعينه وأستهديه وأستعصمه ممـا لا يرضاه، علمنا ما لم نكن نعلم، وهدانا لمناهج السداد، وساقنا إلى مدارج الرشاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الـذى جعل الإيمان به فرضا، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الأبرار وبعد:

فقد ولد مؤلفنا عبد الرحمن بن على بن أحمد بن محمد البسطامى[١]الحنفى، فى مدينة أنطاكية[٢] ، سنة ٧٨٢هـ تقريباً[٣]، وأقام أيام الصبا فى العلم والتحصيل، وشغف بحقائق الحروف والأسماء إلى أن سلك الطريق على يد شيخه شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد الحلبى البسطامى بمدينة حلب سنة ٨٠١هـ[٤]، وكـان رحمه الله عالماً بالحديث والتفسير والفقه، وطوف بالبلاد، ودخل القاهرة، وأقام بها طويلاً، وتتلمذ على يد الشيخ الإمام أبى عبد الله محمد بن محمد ابن يعقوب الكومى التونسى، صاحب كتاب "**الكنز الباهر فى شرح حروف الملك الظاهر**"، والشيخ أبى محمد مخلوف بن على بن ميمون الجِنْتَوى الجَنَّاتِى المغربى صاحب "**لوامع البروق**

---

[١] نسبة إلى طيفور بن عيسى أبى يزيد البسطامى (المتوفى ٢٦١هـ)، وكان صوفياً زاهـداً ورعاً. انظر النبهانى، جامع كرامات الأولياء، ج٢ ص٤٩-٥٠، وعبد الرحمن بدوى، شطحات الصوفية، الكويت، ١٩٧٨، ص٥١، وما بعدها.

[٢] وهى مدينة كانت تابعة لسوريا، وهى من أعمال تركيا الآن، ومنها جاءت نسبته (الأنطاكى).

[٣] جاء فى (الفوائح المسكية فى الفواتح المكية) الذى كتبه عام ٨٤٤هـ: أن عمره قد جاوز الاثنين والستين سنةً، والمعروف أنه توفى عام ٨٥٨هـ، فتكون ولادته عام ٧٨٢هـ تقريباً. انظر مخطوطة برلين، ورقة ١٨٧ ب.

[٤] انظر مخطوطة الظاهرية، شمس الآفاق، الورقة ٤ ب.

فى **سلطنة الملك الظاهر برقوق**"، والسيد الكبير عز الـــدين حـــسين الأخلاطـــى، صاحب "**الكنز المخزون**"، و"**الكتاب الجامع**"[١] . وقرأ فيها كتاب: "**قـــبس الأنـــوار وجامع الأسرار فى علم الحروف والأسرار**" على مصنف الشيخ جمال الدين أبـــى المحاسن يوسف النّدرومى سنة ٨٠٧هــ، كما قرأ: "**اللمعة النورانية فـــى الأوراد الربانية**" للبونى، فى مصر على الشيخ عز الدين محمد بـــن جماعـــة فـــى نفـــس السنة[٢]. وكان عارفاً بخواص الحروف وعلم الوفق والتكسير[٣]، وله يد طولى فى معرفة الجفر والجامعة[٤]، وهى فنون استوعبت معظم مؤلفاته. وكان إلـــى جانـــب تضلعه فى الشريعة والحقيقة، واقفاً على حوادث التاريخ ومتمكناً من الجغرافيـــة. وحج وجاور بمكة المكرمة. ثم دخل مدينة "بروسا"[٥]، وكانت فـــى ذلـــك الوقـــت عاصمة الدولة العثمانية ومقر سلطانها. وهناك اجتمع بالشيخ المولى حسن جلبى بن محمد شاه الفنارى (المتوفى ٨٨٦هــ)، واستفاد منه كثيراً. ونال حظوة كبيرة لدى السلطان مراد الثانى العثمانى، راعى العلماء، وإليه أهدى الشيخ البسطامى الكثيـــر من مؤلفاته التى تربو على الستين مؤلفاً[٦]. وتوفى رحمة الله عليـــه، فـــى مدينـــة

---

[١] انظر مخطوطة برلين، الفوائح المسكية، الورقة ٦١.

[٢] نفس المرجع والورقة.

[٣] انظر التهانوى، كشاف اصطلاحات الفنون، ج٢ص١٥٠١، طبعة سبرنجر، كلكتا ١٨٦٢م.

[٤] انظر حاجى خليفة، كشف الظنون، ج١ ص٥٩١.

[٥] أو بورصة، وهى مدينة فى تركيا، فتحها أرخان بن عثمان فى ١٣٢٦م، واتخذهـــــا بنو عثمان عاصمةً لهم إلى أن فتحوا القسطنطينية.

[٦] انظر تفصيلاتها فى: إسماعيل باشا البغدادى، هدية العارفين، ج٢، ص٥٣١. هذا وقد أورد بروكلمان قائمةً بما وصل إلينا من مخطوطات هذه المؤلفات، ومكان وجودها فى مكتبات الشرق والغرب. راجع: (GAL Π. P300, S Π. P323) .

"بروسا" ودفن بها سنة ٨٥٨هـ (١٤٥٤م)[١]. ويقول المولى عصام الدين أحمد بن مصطفى المعروف بطاشكبرى زاده (المتوفى ٩٦٨هـ) فى شقائقه[٢]، عندما ترجم للشيخ البسطامى: (كان له تصرف عظيم بخواص الحروف، وتأثير عظيم بالاشتغال بأسماء الله تعالى). ثم قال: (وله تصانيف فى علم الجَفْر وعلم الوَفْـق، وخـواص أسماء الله تعالى، وعلم التواريخ، لا يمكن تعدادها).

---

[١] انظر جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣ ص٢٦٢ (وقد وهِمَ جورجى زيـدان حين لقبه بالحروفى نسبةً إلى جماعة الحروفيين، فى حين قرر البسطامى بنفسه أنه: (بسطامى المشرب)، وانظر كذلك سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج١ ص٥٦٤، ودائـرة المعارف الإسلامية مادة: AL-BASTAMI.

[٢] انظر:(الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية)، على هامش (وفيات الأعيـان) لابن خلكان، ج١ ص١٠٨.

وصف الكتاب

قال حاجى خليفة فى "**كشف الظنون**"[١] : "**مناهج التوســل فــى مبــاهج الترسل**، للشيخ عبد الرحمن بن محمد البسطامى الحنفى المتوفى سنة ٨٥٨هـ رتبه على ستة وأربعين لطيفة، وذكر فى كل لطيفة منها سراً مكتوماً، ثــم أورد عقيبــه نكتة وحكاية.

ومن أسباب كتابته لهذه اللطائف: نصيحته الصافية لمن يكاتبه، على عــادة أهل الصفا والوفا من أهل الله وخاصته؛ إذ أن النصيحة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولأئمة المسلمين وعامتهم، فنصح فاستوفى من نفسه الوفاء، ووعظ بلطائف العبارات ودقائق الإشارات، وجواهر عقود الأبيات من الأشعار الرقيقــة، البليغــة الرشيقة، فباتت تأثيراتها حقاً عميقة.

وهذا من عادة أهل الله الفالحين من خاصة خلقه من الــسادة المتــصوفين، فقال له فى إحدى النصائح: "لا تثق بالدولة؛ فإنها ظلٌّ زائل، ونجمٌ آفل، ولا تعتمــد على النعمة؛ فإنها ضيفٌ راحل". فهذا كلام يبعث علــى عــدم رؤيــة الأســباب والركون للدنيا، ويدعو للزهد فيها.

فأكرمْ به قولاً فائقاً، وأنعمْ به ذوقاً رائقاً، وابتغِ من كلامه الهُــدى والتُّقــى والنَّقَى؛ تحظَ بما نالوه من سوالف النِّعم السابقة.

وقد سبق للشيخ شهاب الدين محمود الحلبى[٢]، أن ألف فى هذا الفن كتابه "**حسن التوسل إلى صياغة الترسل**"، وأغلب الظن أن الشيخ عبد الرحمن البسطامى قد بنى كتابه على ذلك، واستلهم منهاجه.

---

[١] ج٢/ ص: ١٨٤٥-١٨٤٦.

[٢] **وكان يعرف بالشهاب محمود، توفى سنة ٧٢٥هـ، وقد صدر هذا الكتاب فى مصر، بالمطبعة الوهبية، سنة ١٢٩٩هـ، انظر سركيس، معجم المطبوعات ج٢/ ١١٥٢.**

وقد اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب على المخطوطات التالية:

١- مخطوطة باريس: رقم ١٣٤٤ (الورقات ٢١٧- ٢٧٣) (اللوحة رقم ١).

٢- مخطوطة الإسكوريال: رقم ٥٩٣ (الورقات ١- ٥٢) (اللوحـــة رقم ٢).

هذا وقد اطلعت على المطبوعة التى صدرت سنة ١٢٩٩هـــــ فـــى القـــسطنطينية (مطبعة الجوائب)، والتى ألحقت بكتاب "**جِنَان الجناس**" لصلاح الدين الصَّفَدى، وقد وجدتها كثيرة الخطأ والسقط، وهو ما دفعنا إلى إصدار هذه النشرة الجديدة الكاملة.

والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم، وله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطنـــاً وهو ولى التوفيق، وهو حسبى ونعم الوكيل.

الدكتور عبد الحميد صالح حمدان

كتاب مناهج التوسل في مباهج الترسل
مما ألقاه رسول البيان بلسان الفؤاد
وهذا الزهر الفائح والنور
اللائح لا يعرف قدره إلا من
أوزع شكره ممن ذاق
من شراب الأبرار
في الأسحار ما
ليف الشيخ
الإمام
العالم
العلامة عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد
الحنفي مذهبا البسطامي رحمه الله تعالى

اللوحة رقم ١

صورة اللوحة الأولى من إحدى المخطوطتين التى حقق الكتاب عليهما

جعفر الصادق رضي الله عنه فسد الزمان وتغير
الاخوان فصار الانفراد اسكن للفؤاد شعر
يغشون بينهم المودة والصفاء وقلوبهم محشوة
بعقارب توفي الامام جعفر الصادق رضي
الله عنه سنة ثمان واربعين ومائة وقد صنف
الخافية في علم الحروف وقد ازدحم العلماء على
بابه واقتبس من مشكوة انواره الاصفيا وكان
يتكلم بغوامض الاسرار والعلوم الحقيقة
وهو ابن سبع سنين وقد جعل في خافيته
الباب الكبير اب ت ث الخ والباب الصغير
ابجد الى قرشت وهو مصوب ومقلوب
حكاية قال الشيخ في الفتوحات المكية
كان الشيخ ابو عمران موسى السدراني من
الابدال وقد ظهرت عنه اسرار غريبة
وحالات عجيبة وكان سبب اجتماعي به اني
فقدت بعد صلاة المغرب باشبلية في حياة
الشيخ ابي مدين وتمنيت ان لو اجتمعت به
والشيخ في ذلك الزمن بجاية مسيرة
خمسة واربعين يوما فلما صليت المغرب

دخل علي ابو عمران وسلم فاجلسته الى جانبي
وقلت له من اين جيت فقال من عند الشيخ
ابي مدين من بجاية قلت متى عهدك قال
صليت معه هذا المغرب فرد وجهه الي وقال
ان محمد بن العربي باشبلية خطر له كذا وكذا
فسر اليه الساعة واجبه عني بكذا وكذا
وذكر لي ما خطر لي من رغبتي في لقائه
وقال لي يقول لك الشيخ اما الاجتماع بالارواح
فقد صح بيني وبينك وثبت واما الاجتماع
بالاجساد في هذه الدار فقد ابى الله تعالى
ذلك فسكن خاطرك والموعد بيني وبينك
عند الله تعالى في مستقر رحمته ورجع اليه
وكان الشيخ موسى السدراني من اهل
السعة في الدنيا فخرج عنها فالتحق بالابدال
وكان ينبو من الارض حيث يشا وقد
وشي بالشيخ موسى الى السلطان فامر بحبسه
فقيد بالحديد وسير به فلما قرب من
مدينة فاس والقي في بيت واقفل عليه
وبات عليه الحرس فلما اصبح فتح الباب

اللوحة رقم ٢

صورة اللوحة الثانية من إحدى المخطوطتين التى حقق الكتاب عليهما



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

لا إله إلا الله عدّةٌ لى عند المــوت[1]. ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (الأعراف:٨٩). شعر:

بعثت كتاباً نائباً عن زيارتـــــــى ومن لم يجدْ ماءً تيمَّمَ بالتُّـــــرْبِ

وبعد:

فالعبد الملهوف الراجى عفو ربه العطوف، عبد الرحمن بن محمد بن على بن أحمد الحنفى مذهبا البسطامى مشرباً، وفقه الله تعالى لطاعته، وجعله من الفائزين برحمته يقول: إن أولى ما يرسخ فى الجَنَان، ويرشح به اللسان، حمدُ مَنْ عواطف رحمتــه شاملة، ولطائف حكمته كاملة، وصلى الله على نبينا محمد الوحيــد فـــى جمالـــه، والفريد فى كماله، وعلى آله وصحبه الأبرار، ما غردت ورقاء فى الأشجار.

وبعد:

فهذه رشحات ذوقية وسبحات شوقية، فواتحها مكيـــة وفوائحهـــا مـــسكية، فوائدها من بحر العلماء، وفرائدها من سحر البلغاء، من شمعة ســـاهرةٍ إلـــى درة زاهرة، سقاها الله من رياح الصَّبَّاح، على رباح الصَّبَّاح، فى جِنَان الحـــسان ذوات العيون والأفنان.

شعر:

على منازل سلمى تحيتى وسلامى هناك بيت حرامٍ وتلك دار الســــــلام

---

[1] جاء فى المخطوطة "س" بعد البسملة: "وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين"، وأضافت المطبوعة بعد ذلك عبـــارة: "لا إله إلا الله عدّة لقائه"، انظر ص ٩٠.

والجناب الرفيع السورة، البديع الصورة، لا زال للخيرات فــاعلا، وبهــا عاملا، وبحبلها واصلا، وللإخوان كافلا ما بسقت أغصان سعادته، واخضرت أفنان سيادته، فى دولة يعلو قدرها ويسمو أمرها، تناطح حمام[١] الأفلاك، وتزهو علــى غوارب السِّمَاك.

شرعت، بعد استخارة من له الطَّوْل وبه القوة والحَوْل، فــى وضــع هــذه اللطائف المفيدة، والمعارف الفريدة، حسبما أطاقة الجهد والإمكان، واتسع له الحال والزمان، وإن كنت لست من خيل هذا الميدان، ولا لى بحل هذه العقدة يدان، هــذا مع اعترافى بأن ليس لى مرتبة النظر الصائب، ولا قوة الفكر الثاقب، ولكن دأبــى التقاط درر المعانى من بحر المثانى، ودَيْدَنِى الأخذ من عبــارات إخــوان الــصفا وخلان الوفا بحروف كلامها وظروف كمالها، فهو كمن من مشكاة النبــوة اقتــبس وبعبارات القوم التبس، كلماتٌ أسرارها خفية، وعبارات أنوارهــا جليــة، وهــى لعَمْرِى، عيون تجرى فى سائر[٢] الأقطار من بحره الزاخر السَّيَّار..**شعر:**

والشمس طالعة فى الليل بالقمر[٣]   مع الغروب وما للعين من خبر

وقد سميت هذا الكتاب بحمد الله الغنى الوهاب: "**مناهج التوسل إلى مباهج الترسل**"، ورتبته على ستة وأربعين لطيفة. وبالله المستعان وعليه التكلان.

وقد جمعت هذه الدرة الفريدة من كتب عديدة، وسلكت فى مسالك مناهجها، ومناسك مباهجها، طرقاً نورانية، وسبلاً عرفانية، ترتاح فــى ريــاض أزهارهــا، وحياض أنهارها السرائر الروحانية، والبصائر العرفانيــة؛ لأن روضــها الــرَّوح والريحان، وحوضها الدر والعقيان، رويضة يعبق فيها الروح والريحــان، بحيــرة

---

[١] فى المخطوطة "س": "جماجم"، وفى المطبوعة: "جماجم"، انظر ص ٩١.

[٢] جاء فى المخطوطة "س": "سماء"، وكذا فى المطبوعة ص ٩١.

[٣] جاء فى المخطوطة "س": "والشمس طالعة بالليل فى القمر"، وكذا فى المطبوعة ص ٩١.

يخرج منها الدر والمرجان، فجاء بحمد الله جليل الشأن، زاهر العرفـان كابتـسام الزهر فى وجه الزمان العابس، لاحتوائه على كل رطب ويابس. **شعر:**

وعلى تفنن واصفية بحسنه يغنى الزمان وفيه مالم يوصف

فياله من كتاب أسراره فرقانية، وأنواره ربانية، وكنوزه رحمانية، ورموزه عرفانية، وكلماته غريبة، وحكاياته عجيبة. فإنه لعمرى قـد جمـع مـن الأخبـار الملكوتية ما لم تسمعه، ولم تَحُمْ حوله الأذهان، لم ينسخ ناسخ من العقـلاء علـى تمثاله، ولم ينسج ناسج من الفضلاء على منواله. وعند الامتحـان يكـرم المرء أو يهان. **شعر:**

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

فمن خلى بعرائس غرره، اغتنى عن كل جليس، ومن أنس بنفـائس درره، انثنى عن كل أنيس؛ لأن روضه جوهرى، وحوضه كوثرى، وبحره زاخـر، ودره فاخر، قد تغنت أطياره فتراقصت أشجاره وبكت عيون أنهاره فتـضاحكت فنـون أزهاره، وتنسم طيب أخباره فتبسم خطيب أخياره. فشكراً لمن بَهَى كتابه، وشَـهَى خطابه، يرقِّص رؤوس العلماء طربا، ونفوس الحكماء عجبا. ولما أبهانى مـشارق أنواره، وناجانى طارق آثاره، ورأيت من دخل فى زمرة الملوك، وعُدَّ من فوائـد السلوك، زففت عرائس فرائده، ونفائس فوائده إلـى جنابـه الرحيـب ذى الغنـاء الخطيب، وإن كنت فى ذلك كمن أهدى إلى الشمس ضياءً وإلى السماء سناءً، ثـم قال، **شعر:**

لو أن كل يسير رد محتقـرا لـم يقبل الله يوما للورى عمـلا
والمرء يهدى على مقدار قدرته والنمل يعذر فى القدر الذى حملا

وأنا أبرأ إلى الله جل شأنه، وعز سلطانه، من القوة والحول، وإياه اسـتغفر من ذلك العمل والقول لا ربّ غيره، ولا خير إلا خيره.

اللطيفة الأولى

شعر:

سلام على وادى الحبيب وليتنى حللت بواديه مكان سلامى

وبعد،،

فالعبد الكليم يُنْهِى إلى السيد الرحيم، من شوقه الذى قد ملك قِيَاده، وعمر بوقوده فؤاده، ويعتذر عن الوصول إلى الطواف بكعبة معانيه، والوقوف على عرفان مبانيه. قال الشافعى رحمه الله تعالى ورضى عنه :

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف
الرجل حافية وما لى مركب والكف صفراء والطريق مخوف

وما برح العبد يدعو لمولانا فى سره وجهره، وينثر على بساط إحسانه جوهر شكره، وتشوق إليه تشوق الساهر إلى المنام، ويهديه من ثنائه ما هو أحسن من ضحك الزهر لبكاء الغمام. وقد سطر هذه العبودية مظهرا من إحسان مولانا ما لا يخفى، وذاكرا من محاسنه ما تعجز عنه الألسن وصفا، والمسؤول من صدقاته حسن الوصية بوافد سلامه، ووارد كلامه. فإن العبد يرى له حقا فى أداء رسالته إلى ذلك الجناب الكريم، ويؤثره لوقوع عينه على ذلك الوجه الوسيم. شعر:

إنْ تشقَ عينى فطال ما سعدت عين رسولى وفاز بالنظر
وكلما جاءنى رسولهم رددت شوقا فى طرفه نظرى
تظهر فى ظرفه محاسنهم قد أثَّرت فيه أحسن الأثر

وكان بوده أن كان مكان هذا الكتاب، وساعدته الأيام على زيارة ذلك الجناب، فإن رؤيتكم مما تبتهج بها الخواطر، وتنتعش بها القلوب انتعاش الروض إذا باكرت الغيوم المواطر. لازال مولانا وافر الإحسان، متزينا بأحسن مناقب الإنسان.

نكتة: [1]

قال على بن الحسين رضى الله عنهما: هلك من ليس له حكيم يرشده، وذل من ليس له كريم يعضده. **شعر:**

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى مريض المستأسد الحامى

نكتة:

رفع إنسان رقعة[2] إلى الصاحب بن عباد[3] يحثه فيها على أخذ مال يتـــيم، وكان مالا كثيرا. فكتب على ظهرها: النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميـــت رحمه الله، والقيِّم جبره الله، والمال ثمرة الله، والساعى لعنه الله.

---

(1) نكتة: مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر، من: نكت رمحه بالأرض: أثَّر فيهـــا، وسميت المسألة نكتة؛ لتأثر الخواطر فى استنباطها. المناوى، التوقيف على مهمات التعاريف، بتحقيقنا ص ٣٣٠.

(2) جاءت: "قصة" فى المخطوطة "س".

(3) هو إسماعيل بن عباد، المتوفى ٣٨٥هـــ. انظر ترجمته فى ابن خلكان، الوفيات، ج١/ ص٩٣-٩٥، الصاحب بن عباد: ياقوت، معجم الأدباء ج٦/ ١٦٨-٣١٧، واليافعى، مرآة الجنان ج٢/ ٤٢١-٤٢٦.

اللطيفة الثانية

شعر:

قلبى بنار الهوى معــذب شوقا إلى حضرة المهــذب
شوقاً إلى مــاجد كريــم يخطر لــى ذكــره فأطــرب

وبعد:

فالعبد ينهى من لواقح شوقه، ولوافح تَوْقه إلى شهود ذاتكم الجميلة، ومشاهدة صفاتكم الجليلة لينشقه نَشْر عرفكم الفائح، ويفوز بنشر عرفكم اللائح، مدّ الله فَلَّكم، وادرّ وابلكم وطلَّكم. **شعر:**

أحب الوعد منك وإن تمــادى وأقنـــع بالخيــــال إذا ألمَّا
عسى الأيام تسمح لى بوصل وتأخذ لى من الهجران سِلْمــا

والجناب منذ طوى ثوب ملاقاته، وزوى منا أطايب أوقاته، قبض العبد عنان مقاله، وخفض لسان حاله. **شعر:**

شكوت وما الشكوى لمثلى بعادةٍ ولكن تفيض العين عند امتلائها

فجلس الفراق بعظيم حجابه، وأليم عذابه على ذروة عرشه، وافتــرس بقــوة بطشه، وصار للشر جارا، وأوقد للحرب نارا. **شعر:**

طوعا لقاضى آتى فى حكمه عجبا أفتى بسفك دمى فى الحل والحرم

وهذه حالته المفصحُ عنها مقالته، وبالله المستعان وعليه التكلان.

شعر:

إن الأمور إذا التوت وتعسرت   نزل القضاء من السماء[1] فحلها
ولعلهــا ولعلهتا ولعلهـــــا   ولعل من عقد العقود يحلهـــــا

فلعل غرس التمنى قد أثمر، وليل الخط قد أقمر. **شعر:**

سألت أحبتى ما كان ذنبى   أجابونى وأحشائــى تذوب
إذا كان المحب قليل حــظٍّ   فما حسناته إلا ذنـــــوب

فرعى الله أياما لاحت فيها أقمار غررها، وفاحت أزهار طررها من ســماها على ثنا رضاها من ذات جلالها، وصفات دلالها فى جنات عواطفهــا، ووجنــات معاطفها. **شعر:**

بالله لا تجعلوا بينى وبينكم   غيراً فإنى لغيرٍ لست أحتمل

فإن كنت لا أطرق رحب فنائكم، فقــد أطــرق بــاب ثنــائكم، ولــولا ألــم بخدمتكم[2]زيارة ولقاء، فقد ألم بها عبودية وولاء. **شعر:**

لئن غيبتنى عن ذراك حوادث   فليس ثنائى عن فنائك غائبا

والدعاء المستجاب، والثناء المستطاب إلى غوانى معانيكم، وبوانى مغانيكم، كما فاحت أزهاره، ولاحت أقماره.

---

[1] "الكريم" فى المخطوطة "س"، وفى المطبوعة.
[2] انظر مخطوطة غوطا ص٧ ب: "بحضرتكم".

نكتة:

قال بعض البلغاء: الكرم غامر والذكر سائر، والعون على الخطــوب أكــرم ناصر، وإغاثة الملهوف من أعظم الذخائر.

قال المأمون. **شعر:**

يبقى الثناء وتنفذ الأموال ولكل دهر دولةٌ ورجال

حكاية:

وفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة توفى أبو القاسم محمد بن عبّاد[١] صاحب إشبيلية، وكان ملكاً جليلاً، عالماً فاضلاً، عاقلاً عادلاً، بقى فى المملكة نيفا وعشرين سنة. قبض عليه ابن تاشفين وسجنه بأغمات حتى مات. خلع من ملكه وله ثمانمائة سُرِّيَّة، ومائة وثلاثة وسبعون ولد. ولما كان مقيدا بالحديد، دخل عليه من بيته مــن يهنئه بالعيد، وفيهن بناته، وعليهن أطمار وهن كالأقمار، أقدامهن حافيــة وآثــار نعمهن خافية، فأنشد مرتجلا قصيدة منها. **شعر:**

قد كان دهرك أن تأمره ممتثلا فردّك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى دهرٍ يسرُّ به فإنما بات بالأحلام مغــرورا

---

(١) أبو القاسم محمد بن عباد صاحب إشبيلية، دائرة المعارف الإسلامية، ج١/ ص٥، حيث جاء أن وفاته كانت فى سنة ٤٣٣هـ.

اللطيفة الثالثة

شعر:

بماء حياته طهرى ومن لم يجـد ماءً تيمــّم بالصعيـد

وبعد،

فالعبد ينهى من شارق شوقه، وبارق تَوقه إلى مُحَيَّا ذاته، وحميا لذاته التى لو سكت العبد عنها أثنت الحقائق، ولو لم ينطق بها نطقت الركائب. وحسبك بشكرها شكراً، وناهيك بثنائها فخرا. متعنا الله بورود زلالها، ووفود نوالها، ما ظهر نجـم حلاوتها، وأزهر نجم طلاوتها، فى خصيب فنائها، ورحيب بنائها. **شعر:**

قد شرّف الله أرضا أنت ساكنها وشرف الناس إذ سوّاك إنسانا

نكتة:

قال أبو الفتح البستى[1]: من أصلح فاسده، أرغم حاسده، ومن أطاع غضبه، أضاع أدبه، عادات السادات سادات العادات.

توفى أبو الفتح على بن أحمد البستى سنة إحدى وأربعمائة.

---

(١) أبو الفتح البستى: على بن محمد، معجم المؤلفين ج٧/ ص٨٦، الصفدى، الوافى ج١٢/ ص ١٩٦-١٩٨، الثعالبى، يتيمة الدهر ج٤/ ص ٢٨٤، ابن كثير، البداية ج١١/ ص٢٧٨، حاجى خليفة، كشف الظنون ج١/ ص٧٧٢، ج٢/ ص ١٣٣٦.

حكاية:

فى سنة إحدى وستين وستمائة، أحضرت إلى مصر فلوس كثيرة من ناحية قوص، وجدت مطمورة كان على الفلس صورة ملك وفى يده ميزان، وفى الأخرى سيف. وعلى الوجه الآخر رأس بآذان كبار، وحوله أسطر. فأحضر حكيم يونانى رومى، فقرأ الأسطر. فكان تاريخ الفلوس من ألفين وثلاثمائة سنة، وفيه مكتوب: "أنا غلباث الملك، ميزان العدل والكرم فى يمينى لمن أطاعنى، والسيف فى شمالى لمن عصانى. وفى الوجه الآخر: أنا غلباث الملك، أذنى مفتوحة للمظلوم، وعينى أنظر بها مصالح ملكى."

اللطيفة الرابعة

شعر:

سلام عليكم والعهود بحالها — وقد بلغ الأشواق حد كمالها

وبعد،

فالعبد ينهى بلسان أدعيته الصالحة، وبيان أثنيته الفائحة، من شوقه إلى طلعته الشهية، وعزته البهية التى وفود الآمال عاكفة بناديها، وألسنة الرجاء من كل وجهة تناديها. **شعر:**

هو البحر من أى النواحى أتيته — فَلُجَّتُــه المعروف والبحر سائله

ولو لم يكن فى كفه غير روحه — لجـــاد بهـــا فليتـــق اللهَ سائلُه

تعود بسط الكف عنـــى لَوَ انَّه — ثناها لقبـــضٍ لم تطعـــه أنامله

وإن العبد، وإن أعجله الزمان، وأخجله الأوان عن التروى ببـــارد زلالـــه، والتردى برداء ظلاله، راج من الله أن يعيد در وصاله منتظمـــا، وثغـــر جمالـــه مبتسما، وطور مناجاته بطور ملاقاته من وجنات عيونه فى جنات عيونه باســـمة الأزهار، نامية الأنوار. شعر:

وللعيون رســـالات مـــردّدة — تـــدرى القلوب معانيها وتخفيها

نكتة:

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: الغريب من ليس له حبيب.

حكاية:

حكى فى "الفتوحات المكية" عن شخص من المحبين: أنه دخل على بعــض الشيوخ. فتكلم الشيخ له على المحبة. فمازال ذلك الشخص ينحل ويـــذوب ويـــسيل عرقا حتى تحلل جسمه كله، وصار على الحصير بين يدى الشيخ بركة مــاء، ذاب كله. فدخل عليه صاحبه، فلم ير عند الشيخ أحداً فقال له: أين فلان؟ فقال الشيخ: هو ذا! وأشار إلى الماء، ووصف حاله.

اللطيفة الخامسة

شعر:

عندى حدائق جود من نوالكــم قد مسها عطش فليسقِ مَــنْ غرسا

تداركوها وفى أغصانها رمــقٌ فليس يرجى اخضرار العود إذ يبسا

نكتة:

من رفعت له الدرجات، ارتفعت إليه الحاجات. **شعر:**

لهمتك العلياء وجهت حاجتى وحاشا لقُصَّاء الكريم يخيبوا

واعلم أن تفقد الخلان وزيارة الأخوان عادة الصالحين، بل سُنَّة المرســلين. قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليــه الســـلام: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ (النمل:٢٠)، وذلك ما يحل بجلالة قدره ونباهة أمره، وعلو شأنه، ورفعة ملكه ومكانه. **شعر:**

تفقد الخلان مستحســـن فمــن بداه فنعمًا بـــدا

سَن سليمانُ لنا سُنَّـــةً وكان فيما سنَّه مُقْتَـــدى

تفقد الطير على ملكه فقال ما لى لا أرى الهدهـــد

وهذه السنة السنية، والطريقة الحسنة المرضية هى سنة الأنبيــاء العظــام، والأولياء الكرام، وطريقة العلماء الأخيار، والحكماء الأبرار. شعر:

وفى النفس حاجات وفيك فطانةٌ سكوتى بيانٌ عندها وخطابى

فالعبارة بالحال أفصح من المقال، ولكن متى يا فتى؟ إذا كان المرسل حكيما والمرسل إليه عليما. **شعر:**

إذا كنت فى حاجة مرســلا فأرسل حكيما ولا توصِــه

نكتة:

أفضل المعروف، إغاثة الملهوف. **شعر:**

فإن تولنى منك الجميل فأهله وإلا فإنّى عاذر وشكـــور

نكتة:

قال وهب بن منبه: قرأت فى بعض كتب الأنبياء أن الله تعالى أنطق لعيسى عليه السلام جمجمةً، فقالت: يا روح الله! عشت ألف سنة، وافتضضت ألف بكــر، وولد لى ألف ولد ذكر، وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش، وفتكت ألف جبار.

توفى أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعانى سنة أربع عشرة ومائة بــصنعاء، وكان الغالب عليه القصص. قال وهب بن منبه: قرأت من كتب الله اثنين وســبعين كتابا. وكان عالما عابداً، مكث أربعين سنة يصلى الفجر بوضوء العشاء.

اللطيفة السادسة

شعر:

وكنت إذا ما جئت أدنيت مجلسى	ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مـــرةً	إلىَّ بها فى سالف الدهــر تنظر

وبعد،

فالعبد ينهى عن شوقه الذى لا ينسخ حكمه، ولا يحول على مرّ الأيام رسمه، وخاطره الكريم يشهد بصدق ادعائه، وبصدق ما ادعاه من حسن ولائه، فإن القلوب أجناد مجندة، والخواطر مستنطقة عما يضم بعضها لبعض مستشهدة، وما برح العبد مختصا بأنواع شكره وثنائه ومحبته ودعائه عقيب جميع الصلوات، وعند مظــان الاستجابة للدعوات، حتى صار السامع بذكره ناطقا، ولآدابه عاشقاً، زاده الله علما نافعا وعملا رافعا، وصانه من بوائق الزمان وطوارق الحَدَثان. شعر:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله	وهذا دعـــاء للبريـــة شاملٌ

نكتة:

قال ذو القرنين: السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه، لأنا إذا عرفناه أطلنا يومـــه وأطرنا نومه.

حكاية:

حكى الجوهرى المصرى[1] عن نفسه: أنه خرج بالعجين من بيته إلى الفرن، وكانت عليه جنابة، فجاء إلى شط النيل ليغتسل، فرأى نفسه وهو فى المـــاء مثلمـــا يرى النائم كأنه فى بغداد، وقد تزوج امرأة، وأقام معها ست سنين، وأولدها أولاداً، غاب عنى عددهم ، ثم رد إلى نفسه وهو فى الماء، ففرغ من غسله وخرج ولـــبس ثيابه، وجاء إلى الفرن، وأخذ الخبز، وجاء إلى بيته، وأخبر أهلـــه بمـــا رأى فـــى واقعته. فلما كان بعد شهر جاءت تلك المرأة التى رأى أنه تزوجها فى الواقعة تسأل عن داره. فلما اجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما أنكرها. وقيل لها: متى تزوج بك؟ فقالت: منذ ست سنين، وهؤلاء أولاده منى. فخرج فى الحس مـــا وقـــع فـــى الخيال.

---

(١) الجوهرى المصرى على بن داود: البغدادى، ايضاح المكنون ١/ ١٢٠، هدية العارفيـــن ج١ / ص ٧٣٧.

اللطيفة السابعة

شعر:

أيغدرني الزمان وأنت فيـــــه وتأكلنى الكـــــلاب وأنت ليث

ويشرب من جنابك كل ظامئ وأعطش فى حماك وأنت غيث

والجناب الفاخر إلى آخر ألقابه الفواخر لازالت أطلال العلماء ببقائه معمورة، وآمال الفضلاء على مكارمه مقصورة، لما دخل فى زمرة الولاة، وأطلع الدهر فى ذلك السعيد شمس علاه، صفَّت مذارع ظلال العلمـــاء، وصـــفت مـــشارع زلات الفضلاء، وجرت أنهار عيونها، وغردت أطيار غصونها، طلب كل مـــن جنابـــه البهيج ذى الغناء الأريج، در وظائفه، وذر لطائفه شرقا وغربا، بعدا وقربا. شعر:

صلى لجودك جود الناس كلهم فصار جودك محراب لها جائـــد

فالحمد لله الذى أقامه مقاما تسر به الخواطر، وأحيا به بلدة العلـــوم إحيـــاء الروض بالسحب المواطر، وأعاد شمسها المنيرة إلى أفقها، وأحلها بالمطالع الـــذى هو من حقها، فعادت إلى وظيفتها عود الحلى إلى العاطل، وأظهر به ظهور الحق على الباطل، فأصبحت منيرة مشمسة، ظافرة فى يومه بحسن ما عودها فى أمسه، فنظر إليها نظر السحاب إلى مواقع وَبْلها، وحنَّ على أهلها حنوَّ المرضـــع علـــى طفلها، فأصبحت رياح اليمن بها سارية، وسحاب الأمن فوقها جاريـــة، والأرزاق تنهلُ من أقلامه كما ينهلُ المطر من مُزْنِه، وأنواع الخيرات تجتنـــى مـــن كَرْمـــه كاجتناء الثمر من غصنه، لازالت أقلامه محكمة، فى أراضى العلماء، نافذا أمرهـــا فى أقاليم الفضلاء.

شعر:

شكر المن أجزلهـــا نعمةً	**قد أصبح الشكر لها واجبـــا**
أنالت الأحباب آمالـــهـــم	**وكم حسود قد غدا خائبـــا**

نكتة:

قال بعض العلماء: عليكم بإخوان الصفا وخلان الوفا، فإنهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء. **شعر:**

رسائل إخوان الصفاء كثيرة	**ولكـــنَّ إخوان الصفاء قليـــل**

حكاية:

قال أبو الفتح محمد بن محمد الغزالى الطوسى، توفى سنة عشرين وخمسمائة بقزوين، وكان من كبار الأولياء، صاحب كرامات ومكاشفات وعلم وزهـد وورع، وكان واعظا قد حصل له القبول العظيم.

ومما يحكى عنه: أنه حضر ليلة فى مسجد الشونيزى بين الصوفية، فحضر من يغنى. فغنى بالعجمية، فقام الشيخ أحمد، وهو متواجد، ووقـف علـى رأسـه ورجلاه فى الهواء. فلم يزل كذلك والناس وقوف إلى أن مضت طائفة كثيرة مـن الليل.

وحضر يوما إلى أخيه الإمام أبى حامد الغزالى وهو يقرأ سـورة الأنعـام، فوقف على الباب متفكرا، ثم رجع ولم يدخل. فأُخبِر أخوه بذلك. فلما رآه من الغد، قال له: يا أخى! جئتنى وأنا أقرأ سورة الأنعام، فلم أعلم بك. فقال له أحمد أخوه: ما

سمعتك تقرأ سورة الأنعام، وإنما سمعتك تحاسب البقال! فقال: صدقت يـــا أخـــى، اشتغل خاطرى فى القراءة بحساب البقال، فإنه كان له عندنا مبلغ. وكراماته كثيرة.

اللطيفة الثامنة

رشحُ ذوقٍ، برشحِ شوقٍ.

شعر:

أحن إلى الوادى وأصبو إلى الشِّعْب	**وأسأل عن أخباركم سائق الركب**
وأطلبكم من بين نجـــدٍ ولعلـــعٍ	**وما لكم رَبْعٌ أنيس ســـوى قلبـــى**
أطويه عنكم بالربـــوع وناظـــرى	**يشاهدكم فى حالة البعـــد والقرب**
فإن قلت إنى قـــد سبيـــت بحبـــكم	**فكم بكم فى الكون من والهٍ حسبى**
سلبت بكم عقلـــى وطرفى ومسمع	**فحسبى أنى لا أرى غيركم حسبى**
أهيـــم بكـــم فيكـــم إليكـــم عليكـــم	**فمنكم بدا دائى وعندكـــم طبـــى**

العبد يجدد الأدعية الصالحة، والأثنية الفائحة، ويُنْهى من كثرة أشواقة إلـــى الحضرة العالية التى هى بعوارف المعارف متتالية، وبفوائد الفواضل متواليـــة، لا أخلى الله من زلالها المعاهد، ومتع بنوالها كل غائب وشاهد، وما برح العبد يتملى بذكر عوائد حضرتها العلياء، ويتجلى بنشر فوائد زهرتها الفيحاء. شعر:

لولا نسيم الصبا منكم يروِّحنـــى	**لكنت محترقاً من حرِّ أنفاســـى**

والمرجو من جناب الحق تنفيس المهل ومراخاة الأجل على غِرَّة من الزمان، ورقدة من الفلك اليقظان أدنو بها من جناب الكريم دنواً، وأرنو إلى رحابه رنوا فى مبانيه وضياء معانيه. **شعر:**

وإن طرفى موصول برؤيتـــه وإن تباعد عن مثواى مثـــواه

نكتة:

قال الشافعى رضى الله عنه: من صدق فى أخوة إنسان، قَبِلَ عِلَلَـــه، وســد خَلَلَـــه، وغفر زَلَـــلَه.

قال الأستاذ أبو مدين: أضر الأشياء صحبةً: عالمٌ غافل، وصـــوفيٌ جاهــل.

شعر:

سألت الناس عن خِــلٍّ وفــيٍّ فقالـــوا ما إلى هذا سبيـــل

تمسَّك إن ظفرتَ بذيــل حــرٍّ فإن الحـــرَّ فى الدنيا قليـــل

سئل بعض الحكماء عن الصديق، فقال: اسمٌ لا معنى له. ثم قال: شعر

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً لا يوجدان فدغ عن نفسك الطمع

حكاية:

حكى أن المستنجد[1] رأى فى منامه كأن مداداً نزل من السماء فكتب فى كفه أربع خاءات. فلما استيقظ طلب معبّر الرؤيا، وقص عليه ما رآه. فقال له: تلى الخلافة فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة. فكان الأمر كذلك.

اللطيفة التّاسعة

شعر:

أيها البدر الذى يجلو الدُّجـــــا قل لنجمى فى الهوى كم تحترق

أنا من جملة أرباب الهـــــوى غير أنى فى هواكم تحـــــت رِقّ

وبعد،

فالعبد يقبل الأرض، وينهى أنه قد أمّل قطرةً من باء بركم، وذرة من فـــيض ذال ذَرِّكم، تخلصه من صاد صروف الدهر، وتسلمه من قاف حروف القهـــر، قـــد أوقعته عين الغربة فى هواء الهوان، ورمته بكاف الكربة وألف الأشجان، فأصـــبح صاد صبره مفقودا، ونون نواله مطرودا من عقارب أعوان الرهائـــب، وثعالـــب إخوان الغياهب. فلعل من صدقات لمحات نفحات لحظات نور حدقة العلماء ونـــور حديقة الفضلاء، نظرة تطلقه من قيد أوهامه النوميَّة ومن صيد أفهامه اليومية. شعر

العار فـــى قصدى لغيرك فاكفنى بالـــود منـــك تحملنـــى للعار

---

(١) المستنجد العباسى بويع له بالخلافة عندما توفى والده الإمام المقتفى لأمر الله، ليلة الأحد ثانى عشر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة. ابن خلكان، وفيات ٦/ ٢٣٤

والنار فى ذل السؤال فهل ترى   أن لا تكلفنــــى دخــول النار

نكتة:

الوفاء سمة الأحرار، وصفة الأخيار.

حكاية:

حكى اليافعى: أن النووى رحمه الله خطف سارقٌ عمامته وهــرب، فتتبعــه وصار يعدو خلفه وهو يقول له: ملَّكتُك إيَّاها، قل: قبلت، والسارق ما عنده خبر من ذلك.

توفى شيخ الشافعية محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّىِّ بن حسن الشافعى النووى بدمشق سنة ست وسبعين وستمائة، رحمه الله تعالى.

اللطيفة العاشرة

شعر:

قــدمى فى العــزّ ما دام الثريــا   علــى رغم الأعــادى والحسود

وبعد،

فالعبد يقبل اليد العالية العاملية العونية الغوثية الحاكميّة الحنفية، لا زالت يــد الأيادى، وكعبة العاكف والبادى، إذا فتحت فللتقبيل والكــرم، وإذا قبــضت فعلــى استرقاق الغرب والعجم. **شعر:**

له يد لو فم الصادى يقبلها   ما كان يظمأ يوما بعدها أبدا

وينهى بلسان ذوقه المشرق، وبيان شوقه المحرق إلى عواطف بشره البهيج، وعاطف نشره الأريج، وذلك لما سبق من جميل عوائدها، وجزيل فوائدها، أدام الله فى سماء سناء السعادة بقاءها، وفى سماء السعادة ارتقاءها، ما أشــرقت شــموس الراح من أفلاك الأقداح.

نكتة:

قال جعفر الصادق رضى الله عنه: فسد الزمان، وتغيّر الإخــوان، فــصار الانفراد أسكن للفؤاد. شعر:

يفشون بينهم المودة والصفا   وقلوبهــم محسورة بعقــارب

توفى الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه سنة ثمان وأربعين ومائــة. وقــد صنفّ الخافية فى علم الحروف. وقد ازدحم العلماء على بابه، واقتبس من مــشكاة أنواره الأصفياء، وكان يتكلم بغوامض الأسرار وعلوم الحقيقة وهو ابن سبع سنين.

وقد جعل فى خافيته: الباب الكبير: أ ب ت ث......إلخ، والباب الصغير: أبجد إلى قرشت، وهو مصوَّب ومقلوب[١].

حكاية:

قال الشيخ[٢] فى "الفتوحات المكيَّة": كــان الــشيخ أبــو عمــران موســى السدرانى[٣] من الأبدال، وقد ظهرت عنه أسرار غريبة، وحالات عجيبــة. فكــان سبب اجتماعى به أنى قعدت بعد صلاة المغرب بإشبيلية فى حياة الشيخ أبى مدين. وتمنيت أن لو اجتمعت به والشيخ فى ذلك الزمن ببجاية، مسيرة خمسة وأربعــين يوما. فلما صليت المغرب، دخل علىّ أبو عمران وسلم، فأجلسته إلى جانبى، وقلت له: من أين جئت؟ فقال: من عند الشيخ أبى مدين من بجاية. قلت: متــى عهــدك؟ قال: صليت معه هذا المغرب، فردّ وجهه إلىّ وقال: إن محمد بن العربى بإشــبيلة خطر له كذا وكذا، فسرْ إليه الساعة وأجبه عنى بكذا وكذا، وذكر لى ما خطر لــى من رغبتى فى لقائه. وقال لى: يقول لك الشيخ: أما الاجتماع بالأرواح فقــد صــح بينى وبينك وثبت، وأما الاجتماع بالأجساد فى هذه الدار، فقد أبى الله تعالى ذلــك. فسكِّنْ خاطرك، والموعد بينى وبينك عند الله تعالى فى مستقر رحمته، ورجع إليه.

وكان الشيخ موسى السدرانى من أهل السعة فى الدنيا، فخرج عنها فــالتحق بالأبدال. وكان يتبوأ من الأرض حيث يشاء. وقد وُشِىَ بالشيخ موسى إلى السلطان، فأمر بإحضاره. فقيد بالحديد وسير به. فلما قرب من مدينة فاس، ألقى فــى بيــت وأقفل عليه وبات عليه الحرس. فلما أصبح، فتح الباب فوجد والحديد الــذى كــان

---

(١) انظر حاجى خليفة، كشف الظنون، ج١/ ص ٦٩٩.

(٢) أى: الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربى.

(٣) موسى أبو عمران السيدرانى، النبهانى، جامع كرامات الأولياء، ج٢/ ص ٢٧١.

عليه مطروحا، وما وجد فى البيت. فدخل فاس، وقصد دار أبى مدين شعيب، فقرع عليه الباب، فخرج إليه الشيخ بنفسه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا موسى! قال الشيخ: وأنا شعيب! ادخل، ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص:٢٥)، قال: وأخبرنى شيخى أبو يعقوب الكومى[1] عنه أنه وصل جبل قاف المحيط بالأرض، وأنه صلى الضحى بإشبيلية، وصلى الظهر على ذروته. سئل عن ارتفاعه فى الهواء، فقــال: ثلاثمائة سنة! وأخبر أن الله طوق هذا الجبل بحيّة اجتمع رأسها بذنبها، فقــال لـــه صاحبه الذى كان معه: سلم على هذه الحيّة، فإنها ترد عليك السلام؟ فقال: فسلمت عليها، فقالت: وعليك السلام يا أبا عمران! كيف حال الشيخ أبى مدين؟ فقلت لهـــا: وأنىّ لك معرفة أبى مدين؟ فقالت: عجبا! وهل على وجه الأرض من يجهــل أبـــا مدين! إن الله تعالى منذ أنزل حُبَّه إلى الأرض، ونادى به، عرفته أنا وغيرى، فلا شىء من رطب ولا يابس إلا يعرفه ويحبه. قال الشيخ عماد الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين عمر السهروردى: حججت مع والدى سنة، فبينما نحن فى الطـــواف، وإذا بشيخ مغربى يطوف والناس يتبركون به، ويزورونه. فسألت عنه، فقالوا: هذا يقال له الشيخ السدرانى، من أكابر أصحاب الشيخ مدين. ومن جملة ما ذكروا مـــن مناقبه، أن له ورداً فى اليوم والليلة سبعون ألف ختمة. وقـــال واحـــد مـــن كبـــار أصحاب والدى: صدقوا وأيم الله! وكنت أنا قد سمعت هذا، وفى نفسى منه أثر حتى أدركته ليلةً فى الطواف، فتتبعته إلى أن قبّل الحجر الأسود، وشرع فى التلاوة من أول الفاتحة وهو يمشى مشيا معهودا، ويقرأ قراءة مفسّرة مفهومة، أفهم منه حرفـــا حرفا فى شوطه الأول من الطواف من الحجر إلى أن جاز باب الكعبة، وإذا به قد

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكومى شيخ ابن عربى ، توفى سنة ٥٨٦هـــ ، النبهانى، جامع كرامات الأولياء، ٢/ ٢٩١، المناوى، الكواكب الدرية، ج١/ص ٧١٦.

وصل إلى آخر الختمة على تفهم من جميع الختمة حرفاً بعد حرف. ومعلوم أن بين الحجر والباب أربع خطوات.

اللطيفة الحادية عشرة

شعر:

سلام وتفسير السلام سلامة تحية مشتاقٍ وتحفة زائر

يقبل الأرض، وينهى بعد دعاء تسعفه الإجابة، وتلبية وثناء يحدث المسك عن أسرا أرجائه بما ينبيه، وولاء يظهر منه مثل ما يخفيه، ووفاء إذا أخبر الصديق بصدقة لم يشك فيه. وما برح العبد لسانه مرهون بتلاوة صحائفكم بالدعاء والثناء، وجنانه مشغوف بأحكام معاقد الإخلاص والولاء، والله أعلم بمكنون الضمائر، مطلع على ما تخفيه السرائر.

نكتة:

من رقى إلى مراتب الكمال، ارتقبت مآثره الآمال.

حكاية:

قال أبو السعود[1]: كنت بشاطئ دجلة، فخطر فى نفسى: هل لله عباد يعبدونه فى الماء؟ فما استتمت الخاطر إلا وإذا النهر قد انفلق عن رجل، فسلّم علىّ وقال: نعم يا أبا السعود! لله رجالٌ يعبدونه فى الماء وأنا منهم.

---

(١) أبو السعود بن شبل البغدادى، وهو من أجلّ أتباع الشيخ عبد القادر الجيلى. المناوى، الكواكب، مخطوطة "ش". ب الورقة ١٨٣، والنبهانى، جامع الكرامات ١ج/ ص ٢٧٤.

اللطيفة الثانية عشر

شعر:

بــــه صار فخر العلم عند اندراســـه وبالعلم كان الفخر للعلمـــــاء

ضياء إذا ما الشمس أبدت ضياءها أفاض بضوء فوق كل ضيـــاء

أطال الله بقاء سيدنا فى دولةٍ ممدودة الرواق، ونعمة مشدودة النطاق. كتبــت وفى ملتقى الأهداب عبرات تنسكب، وفى منحنى الأضلاع جمرات تلتهب شوقا إلى لقياه، وسراعا إلى محياه. ولو جرى العبد على حكم الوداد، وقضية الاعتقاد، لكانت كتب خدمته وظائف مدحته إلى مجلسه المحروس، وذراه المأنوس، متتابعة الأفواج، ومتدافقة الأمواج، لكنه التزم مذهب التعظيم والإجلال، وتجنــب موقـــع التــصديع والإملال، وصان خاطره الشريف الذى هو أبداً مشتغل بكشف المشكلات، ورفـــع المعضلات، وتجديد معالم الزهد والتقوى، وإحياء معالم الدرس والفتوى عن مطالعة مكتوباته التى لا طائل فيها ولا فائدة فى مطاويها. شعر:

فلست بالباطل المردود أشغله فإنه باقتناص الحق مشغول

ثم إنه لا يخفى على أرباب الألبـــاب، وأصـــحاب الآداب مـــن ذوى الآراء الصائبة، والخواطر الثاقبة، أن المخدوم الراسخ بنيانه، الــشامخ أركانـــه، أدام الله بهجته، وحرس مهجته، نسيجٌ وَحْدَه، وفريد عهده، ونادر قرانـــه، وواســـطة عقـــد أقرانه، والعلم المشار إليه، المتفق عليه فى جميـــع العلـــوم الغريبـــة، والأصـــول الشرعية العقلية والنقلية، العلمية والعملية، فإنه ابـــن نَجْـــدِيِّها وطـــلاع أنجـــديها، وصاحب راياتها، وسباق غاياتها، وعارف دقائقها وجلائهـــا وبراهينهـــا ودلائلهـــا شنشنة، أعرفها من أحزم، جعله الله للمهتدين، وإماما وهماما لمقام المتقين، وإمامًا.

نكتة:

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه: الموت يدنو، والمرء يلهو.

وكان نقش خاتم مر بن الخطاب رضى الله عنه: كفـــى بالمـــوت واعظـــاً يا عمر. **شعر:**

فإن كنـــت لا تدرى متى المـــوت فاعلمنْ بأنك لا تبقى إلى آخر الدهر

حكاية:

روى أن داود عليه الصلاة والسلام رأى فى غارٍ حجـــراً علـــى رأس قبـــر مكتوب فيه: عشت ألف سنة، وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش، وافتضضت ألف بكر، ثم صرت إلى ما ترى من سكان الثرى.

مناهــج التوسُّــل

فى

مباهــج الترسُّــل

تأليف

الشيخ العلامة الإمام عبد الرحمن البسطامى

توفى سنة (٨٥٨)هـ - (١٤٥٤)م

الجزء الثانى

اللطيفة الثالثة عشر

شعر:

فمن شاء فليُغْضِبْ سواك فلا أذى	**إذا رَضِيتْ عنِّـى كـرام غشيرتـى**

من العبد الضعيف إلى الرأى الشريف، وسبب المكاتبة عدم المعاتبة.

قال على بن أبى طالب كرّم الله وجهه: الصفح الجميل: الرضا بغير عتاب.

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**ينادى منادٍ يوم القيامة: مـن له أجر على الله، فليقم، فيقوم العافون عن النـاس**". ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠)، فممَّنْ هو ذنبٌ كلُّه إلى من هو عفوٌ كلُّه. شعر:

يقبــل الأرض لازالت مقبـلة	**ولا يــزال لها يُمنٌ وإقبـال**
عبد على حالة تبقـى مودتـه	**طول الزمان وإن حالت به الحال**
وإن يكن نقلوا عنىّ الكلام إلـى	**علومكم كذبوا ما العبد قـوال**

وينهى بعد ولاءٍ أُسّس على الصدق بنيانه، وعلى الوفاء قواعـده وأركانـه، ودعاء تُجَرُّ على المجرة أرْدَانُه، وتأمن عليه سائر الجوارح حين ينطق به لـسانه، أن العبد مشتاق إلى نوال مراقده، وزلال موارده، وجميل عوائده، وجزيل فوائـده، اشتياق الروضة الماحلة للسحابة الهاطلة، يشهد لى بصحبة الفلك، ويكتب صحيفته المَلَك. شعر:

ما كنت بالمنظور أقنع منكـم	**ولقد قنعت اليوم بالمسمـوع**
يا هل لسالف عيشنا بلقائكـم	**من عَوْدَة محمودة ورجـوع**

نكتة:

قيل: الدهر حسود لا يأتى على شىءٍ إلا وغيَّره. وقيــل: لا ضـــمان علـــى الزمان. شعر:

رأيت الدهر مختلـــف يـــدور ولا حزن يدوم ولا ســـرور

وشيدت الملوك لها قصـــورًا فما بقى الملوك ولا القصـــور

روى عن محمد بن كعب القرظى[1] قال: بلغنا أن عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ، خمسة وعشرون للناس، ومثلها للجن، ومثلهـــا للطيـــر، ومثلهـــا للوحش. **شعر:**

لكل ولايةٍ لابـــــــد عزلٌ وصرف الدهـــر عقد ثم حـــلٌ

وأحسن سيرة تبقـــــى لوالٍ على الأيام إحســـان وعـــدلٌ

ذكر بعض العلماء: أنه كان حرس سليمان عليه السلام ستمائة ألف.

مهمات: يا إخوان الصفا ويا خلان الوفا! أين من لبس الحرير، وجلس علـــى السرير، وملك الأقاليم السبعة، وبث عسكره وجمعه؟! **شعر:**

إن لله عبـــــادا فُطَنـــــا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنـــــا

نظروا فيها فلما عرفـــــوا أنهـــا ليست لحـــيٍّ وطنـــا

جعلوها لجـــــةً واتَّخـــذوا صالح الأعمال فيهـــا سفنـــا

---

(١) محمد بن كعب القرظى التابعى الكبير، مات سنة ثمان ومائة، وقيل: سبع عشرة، وقيـــل: عشر، وقيل: عشرين ومائة. المناوى، الكواكب الدرية، مخطوطة شسترببتى، الورقة ٨٣

حكاية:

وفى سنة خمس وتسعين، توفى الحجاج بن يوسف الثقفى بواسط، ليلة السابع والعشرين من رمضان، عن أربع وخمسين سنة، ودفن بها، وأخفى قبره، وأجـــرى عليه الماء. وكانت مدة ولايته على العراق عشرين سنة.

قال هشام: أحصينا من قتله الحجاج صبرًا، فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا مـــن سادات الناس. قيل للحسن البصرى رحمه الله تعالى: مات الحجاج! فقال: رحم الله أمرءًا عرف زمانه، وحفظ لسانه، ودارى سلطانه. وفيها ضرب الحجاج عنق سعيد ابن جبير الكوفى رحمه الله. قال بوّاب الحجاج: رأيت رأس سعيد بن جبيـــر بعـــد القتل على الأرض تقول: لا إله إلا الله! ولما بلغ الحسن البصرى قتله قال: اللهم يا قاصم الجبابرة! اقصم الحجاج بن يوسف الثقفى. فما بقى إلا ثلاثة أيام، ووقع الدود فى بطنه، ومات.

وحكى عن الحجاج أنه أمر بقتل رجل فقال: أيها الأمير! حويجة تقضيها، ثم أمرك فىَّ. قال: وما هى؟ قال: تماشينى سبع خطوات. فقام ومشى معه. فقال: بحق هذه الصحبة إلا عفوت عنى؟ فعفا عنه. وأيضا حكى عنه أنه أمر بإحضار الحسن البصرى ليقتله، فلما دخل حرّك شفتيه. فلما رآه الحجاج أدناه وقرب مجلـــسه، ثـــم خرج من عنده سالما. فتبعه الحاجب وقال: يا أبا سعيد! فما قلت حين دخلت عليه؟ قال: قلت يا صاحبى عند شدتى، ويا غياثى عند كربتى، ويا ولىّ عند نعمتى، ويـــا إلهى وإله آبائى من قبل إبراهيم وإسماعيل وإســـحق ويعقـــوب والأســـباط، ويـــا كهيعص، ويا رب طه ويس والقرآن الحكيم، اكفنى أذاه ومعرته، وارزقنى معروفه ومودته. فكان الذى رأيت.

اللطيفة الرابعة عشر

شعر:

سلام الله كل صباح يــــوم   على من عندهم قلبى وروحــــى

يقبل الأرض التى هى قبلة القبل، وكعبة الأمـــل، وروض الجمـــال المفـــدَّى بسواد المُقَل. **شعر:**

أرض سما قدرها بالساكنين بها   وطالع السعد فى أفلاكها نزل

وينهى بعد شوقه الذى لا يحصر، وكسر قلبه الذى بغير لقائكم ليس يجبـــر، ولم يزل العبد متذكرا أياماً مرت ما كان أحلاها، ومضت فلم يبق لنـــا ســـوى أن نتمناها. **شعر:**

سقينا لأيامنا ما كان أطيبهـــا   ولّت ولم أقضِ من لذاتهـــــا وَطَرا

فَرَعَا الله تلك الأيام السوالف التى هى أنعم من الخـــدود، وأدام الله جـــواهر ألفاظ الجناب التى إذا أوفى الناظم بمثلها كان من الذين أوفوا بالعقود، وقد أنفذ هذه العبودية نائبة عن العبد فى لثم عقيان خدوده، وقضبان قدوده، فإنه مـــن أظـــرف غزلان المبانى صوره، وأشرف ولدان المعانى سوره، إذا تبسم عن ثغر نقى، وإذا نظر نظر من طرفٍ خفىّ. **شعر:**

وشاذن فى القصور مـــأواه   وفى رياض القلوب مرعـــــاه

قد أذَّن الحسن فوق جبهته   أشهـــد أن لا مليحَ إلا هــــــو

لازالت طالعته الباهرة مطلعا لشموس السعادة ولا برحت غرتـه الزاهـرة موسما لبلوغ السيادة. قال بعض العلماء: الدنيا قحبة، يوما تراها عند عطار، ويوما تراها عند بيطار. قال الشيخ صفى الدين[١]، رأيت الشيخ صـالح الـولى سـفيان اليمانى[٢]، وكان معمر الأوقات بالصلوات، ظهر فى جهة اليمن وقد قتل يهوديـا فى ثغر دمياط بالحال بأن قال له: تفعل كذا وكذا وإلا قططتُ رأس القلم، وكان فى يده قلم وسكين. فقال اليهودى: قُطِّ القلم، وما علىَّ من قطِّه! فقطَّ رأس القلم، فـإذا برأس اليهودى مقطوط عنده يتدحرج فى الأرض وكان فقيها قـد اشـتغل بـالعلم وحصّل، حتى قيل له: إن أردتنا فاترك الوجهين والقولين، فترك ذلك، واشتغل بالله. وكان قد سافر إلى دمياط ليحضر الجهاد فيها، وكان فتح المسلمين على يديه. وكان قد قال لهم بعض من أطلعه الله على ما شاء من الغيب: إن فتح دمياط يكون علـى يدى رجل من أهل اليمن. وممن حضر الجهاد بدمياط الفقية العالم الولى العـارف عبدالرحمن النويرى[٣]، واستشهد. وقال الفرنجى الذى قتلـه: فقلـت يـا قـسيس المسلمين أنتم تقولون: إن فى قرآنكم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩) ، قلت له ذلك بطريق التهكم، ففتح عينيـه، ورفـع رأسه، وقال بصوت قوى: نعم! أحياء عند ربهم يرزقون ثم سكت، فعندما رأيـت ذلك، وسمعت ما سمعت نزع الله الكفر من قلبى وأسلمت على يديه. وأرجو الله أن يغفر لى ببركة إسلامى على يديه. وله كرامات كثيرة. وكان فتح دمياط سنة ثمـان وأربعين وستمائة.

---

(١) الشيخ صفى الدين صاحب الرسالة، انظر اليافعى، مرآة الجنان، ج٤/ ص ٣٤٩.

(٢) انظر ترجمته فى اليافعى، مرآة الجنان، ج٤/ ٣٤٩، والنبهانى، جامع كرامات الأولياء، ج٢/ ص ٢٧- ٢٩.

(٣) وكان يقال له الشهيد الناطق، انظر النبهانى، جامع كرامات الأولياء، ج٢/ ص ٥٧.

اللطيفة الخامسة عشر

شعر:

فيوم من جفاك بألف شهـــر وشهر لا أراك كألف عـــــام

وبعد، فالعبد ينهى أن عنده من الشغف والشوق، والتلهف والتــوق، مـــا لا يصفه الواصفون، ولا يعبر عن حقيقته العارفون، كأنه من ألم الغيبة عن المشاهدة قد أحرق بالنار، قائلاً آناء الليل وأطراف النهار، بالعشى والإبكار.

شعر:

إن عاد شملى بمن أهواه مجتمعا لا أعتب الدهر يوما بالذى صنعـــا

وقد صدرت هذه الصحيفة الشوقية، والوظيفة الذوقيـــة، ممـــن رام صـــبرا فأعوزه، وحاول مناما فأعجزه، محب سهران، بين الوجد والفكر سكران، قد وكـــل طرفه وقلبه، هذا يراعى النجوم وذا يراعى القمر، هائما عن حَكْى شـــعره الليـــل، وأما طرفه فسحر، بلين المعاطف لما يتثنى، الجائر على المحب بعادل قـــده ومـــا تأنى، ولم يبرح المحب على المحبة مقيم، وإلى أخبار الجناب كلما نظر نظرة فـــى النجوم قال إنى سقيم، وقد أصدر هذه العبودية ليعلم بها صحة حبه، فإن المخدوم لم يزل مسكنه وسط قلبه، والله يمتعه بما وهبه، ويشكر فى محاسن الفعل والقول أدبه.

شعر:

يا أيها القمر المنير الزاهـــــر الأبلـــج البدر البهىّ الباهـــــر

بلغ شبيهتك السلام وقل لهـــا شوقى وإنى فى هواها ساهـــــر

نكتة:

قال ابن كلثوم: دخلت على الحسن بن على رضى الله عنهما، وهو يــشتكى ضرا به ويقول: مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين اقتداء بأيوب عليه السلام فــى دعائه ليستجاب له.

شعر:

تطلب الراحة فى دار الفنــــــا   خاب من يطلب شيئاً لا يكــــــون

منبِّهاتٌ: لا تستغرب وقوع الأكدار، ما دمت فى هذه الدار.

شعر:

تأملنا الزمان فما وجدنــــــا   إلى طلب الحياة به سبيــــــلا

واعلم أن العجز والقصور، صار فى جميع الأمور.

شعر:

لست أدرى ولا المنجم يــــدرى   ما يريــــد القضاء بالإنســــان

نكتة:

إذا حَاقَ القضاء، ضَاقَ الفضاء.

شعر:

ما للرجال مع القضاء تحيُّــــلٌ   ذهب القضاء بحيلة الأقــــــوام

كم من فيلسوف حار عقله، وما نفعه نقله.

شعر:

فقل لمن يدعى فى العلم فلسفـــةً عرفت شيئا وغابت عنك أشيــــاء

إذا نزل القدر، بطل الحذر.

شعر:

قل لمن يحذر إن تدركـــــــــه نكبات الدهر لا يغنى الحـــــــذر

روى أن فرعون كان قد قتل إلى ذلك اليوم جاءوا بموسى عليه السلام فيــه سبعين ألف مولود ذكراً.

شعر:

يدبر بالنجوم وليـــــس يـــدرى ورب النجم يفعــــل ما يشــــاء

روى أن عيسى عليه السلام أبرأ فى يوم واحد خمسين ألفا من المرضى.

شعر:

قد مات بقراط الحكيم برعشـــةٍ وبفالج قد مـــــات أفلاطـــــونا

وأرسططاليس الحكيم مُبَرْسَمَــا هذا وجالينوسُهُمْ مبطـــــــــونا

إذا انقضت المدة، لم تنفع العدة.

شعر:

وإذا المنية أنشبـت أظفارهـا ألفيتَ كل تميمـةٍ لا تنفـع[١]

وفى سنة سبعة وثلاثين ومائة، قتل أبو جعفر الخليفة أبا مسلم الخراسـانى، وهو من خربيطة من سواد الكوفة. وكان يرى بالتناسخ، فهو حجاج زمانه. وكـان قد قتل فى أيام دولته وحروبه ستمائة ألف إنسان صبرا. وكان يخلو بالنـساء فـى السنة مرة واحدة.

شعر:

إذا هبت رياحك فاغتنمهـا فإن لكل خافقة سكـون

وبادر باصطناع الخير فيهـا فما تدرى السكون متى يكـون

حكاية:

روى الشيخ صفى الدين عن الشيخ الكبير أبى الحسن ابن الدقاق أنـه قـال أدخلنى شيخى الشيخ محمد الأزهرى ثلاثمائة وستين عالَمًا غير عَـالَم الـسماوات والأرض، ودخل بى إلى جبل قاف، وأرانى الحية الدايرة بالجبل ورأسها على ذنبها وهى خضراء، قال: وكان الشيخ إذا أمرّ خارق أو طىُّ أرضٍ أبقى معه غائبا عـن حسّى معهوداً، فخرج يوما من دمشق وأنا صحبته، إلى أن وصلنا إلى طبرية، ثـم مشى وأنا خلفه إلى أن أشرفنا على بناءٍ مهولٍ، وإذا بأقوامٍ تلقوا الشيخ وسلموا عليه وتبرّكوا بقدومه ثم مشوا قدامه، فوجدتُ منهم وحشة، فالتفت الشيخ إلىّ وقال: يـا علىّ! احفظ نفسك، واشتغل بى، ولا تشتغل بما تراه، فهؤلاء جان، ونحن قـادمون

---

(١) هذا البيت للهندلى.

على سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، فلما وصلنا إلى البنيان تلقته طائفـــة أخرى، وأدخلوه البناء، وهو قصر عظيم، والشيخ يمشى وأنا خلفه، وإذا فى صدر المكان رجل نائم، وعليه هيبة عظيمة ونور عظيم، وفى يده عصا، فقال الشيخ لى: هذا سليمان عليه السلام، ثم تقدم وقبل يده، وفى إحدى أصابعه الخاتم، ثـــم تـــأخر فأخذ جماعة الجن خدام سليمان عليه السلام الشيخ وذهبوا به إلى موضعٍ، وقـــدموا إليه طعاما، وأكل الشيخ وأكلت معه، ثم ذهبوا به يفرِّجوه على ذخائر سليمان فاتوا بالبساط، فوقف عنده هو فجاءت ريح فنشرته حتى رآه، ثم جابوا به الـــى عـــرش بلقيس فرآه، إلى أن استكمل جميع ذخائر سليمان عليه الصلاة والسلام، ثم مر على مغارة فيها دوى مزعج، قالوا: يا سيدى هذا سجن ابن إبليس، وهو مسجون فى هذه المغارة، منذ زمان نبى الله سليمان عليـــه الـــصلاة والـــسلام، فلمـــا أراد الـــشيخ الانصراف وصنعوا له سريراً، وأشار الشيخ إلىَّ فوضعوا لى سريراً آخـــر، فلمـــا جلسنا عليهما ارتفعا بنا فى الهواء، ولا نبصر من يحملها ومرّ بنا فى الهواء فـــوق بحرٍ، حتى انتهينا إلى مكانٍ، فلما وصلنا حط بنا السرير إلى الأرض، فنزلنا عنهما ثم ارتفعنا فى الهواء، فمشى الشيخ وأنا خلفه ساعةً، وإذا نحن بدمشق وقد بدت لنا فكنا يومنا ذلك بها، قال: وكان فى أصحاب الشيخ من هو حجـــازى، ومـــن هـــو عراقى، فذكروا الرطب، فقال الحجازيون: رطبنا أطيب، وقال العراقيون: رطبنـــا أطيب، وكان للشيخ خادم اسمه يوسف، فنظر الشيخ إليه، فخرج الخادم من البـــاب وغاب ساعةً، ثم دخل وعلى يده طبق فيه رطب، كما جنى من النخل، فوضعه بين يدى الشيخ، فقال: هذا رطب بلادنا يا حجازيون ويا عراقيون، فأحضروا أنتم رطب بلادكم. وله من الكرامات وخوارق العادات أسرار غريبة، وآثار عجيبة، رضى الله عنه.

اللطيفة السادسة عشر

شعر:

هواى له فرض تعطّف أو جفـا ومشربه عذبٌ تكرَّر أم صفــــا

وكلت إلى المحبوب أمرى كلــه فإن شاء أحيانى وإن شاء أتلفـــا

وبعد، فالعبد يخدم من بزغ هلال سعادته، ومرت ظلال سيادته، أيد الله دولته الباهرة، وأبد صولته القاهرة فى نعمةٍ مشرقة الأضواء، متدفقة الأنــوا،ر ريــاض جداها مخضرة الرُبى متضوعة النسيم، محياض ثراها، ممتلئة الــصَّبا، ومواكــب جنوده قاهرة الطلائع، وكتائب النوائب بعوادى نقمة إلى أوليائه مجثوثة، وينهى من شوقه الى ورود عوايده الجميلة، ووفود فوايده الجزيلة، ما يُكِلُّ ألسنة الأقلام، ويغُلُّ غَرْب أسنة الأفهام، ويكدر موارد الصفا ومناهله، ويدمر معاهد الشفا ومنازله، وهو يسأل الله أن يعيد عقد الشمل منتظما، وثغر الوصل مبتسماً، وجنة القرب ببــشاشة لقائه أنيقة الأغصان، وريقة الأفنان، دانية القطاف صافية، وأن يديم فى سنا السعد بقاء دولته، وفى سماء المجد ارتقاء صولته، ويسدد إلى أغراض الأعراض سهامه، ويمضى فى البسيطة سيوفه وأقلامه .

نكتة:

قال الله تعالى: **"اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد ناصراً غيرى".**

شعر:

إلى ديان يوم العرض يقضِــــى وعند الله تجتمــــع الخصــــوم

ستعلــمُ فى المَعَاد إذا التقينـــا غداً عند الحساب من الظَّلـــــوم

قال يحيى البرمكى: بئس الزاد، ليوم المعاد: الظلم للعباد.

شعر:

رأيت على صخرة عقربــــا وقد جعلت ضربها ديدنـــــا

فقلت أيا هذه أقصــــرى فطبعك من طبعها ألينـــــا

فقال صدقت ولكننـــــى أريـــد أعرفهــــا من أنـــا

نكتة:

الظلم مسلبةٌ للنعم، والبغى مجلبةٌ للنقم.

شعر:

الظلم من شِيَم النفوس فإن تجدْ ذا عفـــةٍ فلعله لا يظلِـــم

حكاية:

قال اليافعى رحمه الله: بلغنى أن بعض ملوك الكفار استولى على بعض بلاد المسلمين، فسفك دماءهم وغصب أموالهم، وأراد أن يقتل بعض فقــراء المــشايخ الرفاعية، فاجتمع به الشيخ ونهاه عن ذلك، فقال له الملك: إن كنــت علـــى الحـــق فأظهر لى آية، فأشار الشيخ إلى بعر جِمَالٍ هناك، فإذا هى جواهر تضىء، وأشار إلى جرة فى الأرض فارغة الماء، فتعلقت فى الهواء وامتلأت ماءًا، وفمها مـــنكس إلى الأرض ولا يقطر منها قطرة، فدهش الملك، فقال له بعض جلسائه: لا يكثر هذا فى عينك، فإنما هو سحر، فقال الملك: أرنى غير هذا، فأمر الشيخ بالنار فأوقدت،

وأمر الفقراء بالسماع، فلما عمل فيهم الوجد، دخل الشيخ بهم النار، وكانت نار عظيمة، ثم خطف الشيخ ولد الملك ودار به فى النار، فلم يعلم أين ذهب، والملك حاضر، فبقى متوجعاً على ولده، فلما كان بعد ساعة ظهر ولده وفى كفه تفاحة، وفى الأخرى رمانة، فقال له الملك: أين كنت؟ فقال: كنت فى بستانٍ، فأخذت منه هاتين الحبتين وخرجت، فتحير الملك من ذلك، فقال بعض جلسائه: هذا أيضا عمله بالسحر، فقال له الملك عند ذلك: كل ما يظهر لى منك لا صدق له، حتى تشرب من هذا الكأس، وأخرج له كأسا مملوءاً سمًّا، قطرةٌ منه تقتل فى الحال، فأمر الشيخ الفقراء بالسماع حتى ورد عليه، فألقوا عليه ثيابا آخر، فتمزقت كذلك مراراً عديدة، ثم ترشح بعرقٍ، وثبتت عليه الثياب بعدُ ولم تتمزق، فاعتقده الملك، ورجع عن ذلك القتل والإفساد، والله أعلم.

اللطيفة السابعة عشر

شعر:

وإنى لأستهدى الرياح سلامكــم إذا ما نسيتــم من دياركم هبــــًّا
وأسألها حمل السلام إليكـــــم لتعلم أني لا أزال بكم صبــــًّا

يقبل الأرض ، في الطول منها والعرض، بين يدى سيدنا ومولانا، مـــن لا يرسخ فى الجنان غير وده وإخائه، ولا يرشح فى اللسان ســوى مدحــه وثنائــه، ضاعف الله إجلاله، ومد على طبقات الخلق ظلاله، ويسأل مـــن روادف عواطفــه العميمة، ومعاطف لطائفه الجسيمة، أن لا ينساه من بر عوائده، ودر فوائده، فإنــه ملتاح إلى زلال مناهلكم، ومرتاح إلى ظلال منازلكم، لازالت نجوم سعادتكم زاهرة، ورجوم سيادتكم قاهرة.

نكتة:

قال الشافعى رضى الله عنه: خمسة من النـــاس مرحومـــون: عزيـــز ذل، وغنى قل، وحبيب مل، وفصيح كل، وفقيه ضل. توفى الشافعى رضى الله عنه يوم الجمعة فى آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، ودفن بالقرافة، قال الربيع: كان الشافعى يفتى وله من العمر خمس عشرة سنة، وكان يحيى الليل كله إلى أن مات، ومن دعائه المشهور بالإجابة وهو مجرب: "اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير"، من قاله كل يوم مائة وتسعاً وعشرين مرة؛ آمنه الله من شر الحوادث ورزقه اللطف فى سائر أحواله، وقال الشافعى رضى الله عنه: من أصابه هم أو غم أو سقم؛ فليقرأ كل يوم حين يقوم من منامه أربع مـــرات: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ

أَرْسَلْنَكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (الإسراء:١٠٥)، وقال: "الشّفاعات زكاة المروءات"، وقال: "من أحب الدنيا كان عبداً لأهلها".

حكاية:

روى عن الشيخ أبى عبدالله القرشى: أنه كان يوما جالسا فى ميعاده بمصر، وكان الشيخ أبو العباس القسطلانى هو الذى يقرأ يوم الميعاد عليه بين يديه، فحضر ميعاده الشيخ أبو العباس الطنجى زائرا ففتح القارئ الكتاب وسكت، فقال له الشيخ القرشى: ما لك لا تقرأ؟ فقال: يا سيدى! الكتاب أبيض ما فيه شيء مكتوب، فقال الشيخ: من ههنا، فقال الشيخ أبو العباس الطنجى[1]، فقال الشيخ القرشى: يا أبا العباس! معى تفعل هذا؟ ثم قال القرشى للقارئ: اقرأ، فوجد الكتاب مكتوباً، فقرأ على عادته. توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشى فى السادس من ذى الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالقدس، والدعاء عند قبره مستجابٌ، قال أبو عبد الله القرشى: دخلت على الشيخ أبى محمد المغاورى، فقال لى: يا قرشى أعلمك شيئا تستعين به: إذا احتجت إلى شيء؛ فقل: "يا واحد يا أحد يا واجد يا جواد انفحنى منك بنفحة خيرٍ إنك على كل شيءٍ قدير"، قال: فأنا أنفق منها منذ سمعتها.

---

[1] هكذا بالأصل.

اللطيفة الثامنة عشر

يقبل الأرض بين يديه تقبيلا يعده من شرفه وفخاره، موصلا بدعاءٍ يرفـــع فى ليله ونهاره، وينهى من شوقه إلى سناء طلعته الحميدة، وسيرته الرشـــيدة، مـــا يطيل ليل الأسى والآسف، ويزيل الخزى والكلف، ويعتذر عن التقصير فى الطواف بكعبة أخلاقه الجميلة، والتوجه إلى قبلة فضائله الجليلة، واجتناء ثمرات المعـــارف من شجرات علومه، واقتناء زهرات العوارف من روضات فهومـــه، رغبـــة فـــى التخفيف، ورهبة من التكليف، وهو مع ذلك مواظب على إقامة وظـــائف ذكـــره، وتلاوة صحائف شكره، ونشر سوائق مننه التى لا تعد، وذكر سوابق نعمه التى لا تحد، حتى نشر بالصدق والإخلاص فى محبته من قليل بضاعته، وجعل ذلك تحفة ببعض خالص أدعيته وصناعته.

شعر:

سلوا عن مودّات الرجال قلوبكم	**فتلك شهودٌ لم تكن تقبل الرِّشَـــا**
ولا تسألوا عنها العيون فربمـــا	**أشارت بشىءٍ لم يكن داخل الحَشَا**

والحمد لله الذى فضله على أكابر عصره وزمانه، وآتاه من الفضائل ما فاق به علماء أوانه، فقدمته ملتمسا عذراً إذا كنت فى ذلك كمن أهدى إلى ضياء القمـــر نوراً.

شعر:

لئن قصرت يداى عن الجـــزاءِ	**فما اقتصر اللسان عن الثنـــــاء**
يدى لا ترتقـــى أبداً ولكـــــن	**لسانى يرتقى فوق السمـــــــاء**

وأنا الفقير، أستغفر الله من التقصير، وإياه أسأل أن لا يجعلنى ممن اشـتغل بلذة هواه، عن خدمة مولاه، إنه سميع الدعاء لمن دعاه.

نكتة:

من رضى بالقليل، عاش فى ظلٍّ ظليل.

شعر:

ما أحسن الإنسان فى خُصِّــه يقنع باليابس من قُرْصــه

وإن سعى يطلب فى رزقــه زيادةً فالسعى فى نقصــه

قال الإمام على كرم الله وجهه ورضى عنه: من كان همُّه فيما يـدخل فـى بطنه؛ كانت قيمته ما يخرج منه.

شعر:

إذا غامرت فى أمر مــروم فلا تقنع بما دون النجــوم

فطعم الموت فى أمر حقيــر كطعم الموت فى أمر عظيــم

حكاية:

حُكِيَ: أن أبا العلاء بن زهر كان من أعلم الناس بالطب، ولا سـيما بعلـم الحشائش، وأبا بكر بن الصائغ المعروف بابن ماجه، إلا أنه كان دون ابن زهر فى معرفة الحشائش، وكان أعلم منه فى العلم الطبيعى، وكان يتخيل فى زعمه أنه أعلم من ابن زهر فى الحشائش فركبا يوما فمرا بحشيشة فقال ابن زهر لغلامه: اقطع لنا من هذه الحشائش، وأشار إلى حشيشة معينة ففعل وأتاه بشىء منها، فأخذه وفتله فى

يده وقربها من أنفه كأنه يشمها، ثم قال لأبى بكر: انظر مـــا أطيـــب ريـــح هـــذه الحشيشة! فاستنشقها أبو بكر، فرعف من حينه، فما ترك شيئا يمكن عمله إلا وعمله فما نفع حتى كاد يهلك، وأبو العلاء يبتسم، ويقول: يا أبا بكر! عجزت؟ قال: نعـــم فقال أبو العلاء لغلامه: استخرج لى أصول تلك الحشيشة؛ فجاء بها، فقال: يا أبـــا بكر استنشقها، فاستنشقها أبو بكر؛ فانقطع الدم عنه، فعلم فضله عليـــه فـــى علـــم الحشائش.

اللطيفة التاسعة عشر

شعر:

ولو علم القرطاس ما فى ضميره شكا وبكـى لكنــه غير عالــم

أدام الله بقاء سيدنا ومولانا، وسندنا وأولانا، الحَبْر الفاخر، والبحر الزاخـر، جامع أشتات العلوم، رافع لواء المنثور والمنظوم، من طريقى المنطوق والمفهـوم، قسّ الفصاحة وسُحْبانها، وسفير دولتها وترجمانها، المشار إليه فـى سـحر بيانــه ببنانها، فسَّح الله مدته، وشيد فى علا المكارم دولته وعهدته، وثبت باوتـار عـزه أطناب مقاله وجعل مواطئ خيله على نواصى حساده وأعدائــه، واصــلاً بـأعلى المعانى شامخ سنانه، آهلا بأقصى الأمانى راسخ بنيانه، مؤيدا على ممر الجديـدين بقاؤه، مشرقا على القاصدين جماله وبهاؤه، وأمد الله سعده، وحرس مجده.

نكتة:

ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك، وأن أهنتهم أكرموك: المرأة والمملوك والقبطـى. وقال ذو النون المصرى: رأيت فى لوح مكتوباً: احذروا العبيد المُعْتَقين، والأحداث المتغرِّبين، والجند المتعبِّدين، والقبط المستعربِين، وقيل: ثلاثة يعدون من المجانين وإن كانوا عقلاء: السكران والغضبان والفرَّان.

حكاية:

حكى اليافعى: أن بعض الملوك غضب على بعض الفقراء، فبنـى لـه قبـة وجعله فيها، وسد بابها، ومنعه الطعام والشراب، فلما كان بعد ثلاثة أيام، وجد ذلك الفقير خارجا فى عافية طيبا مسروراً، فأخبر الملك بذلك، فقال: هاتوه، فلما حضر

بين يديه قال له الملك: ما الذى نجاك من هذه الشدة؟! وما كان ســبب خلاصـــك؟! فقال الفقير: لى دعاء دعوت به، قال: وما هو؟ قال: قلت: "اللهم إنـــى أســـألك يـــا لطيف يا لطيف يا لطيف، يا من وسع لطفه أهل الـــسماوات والأرض، أســـألك أن تلطف بى من خفىّ خفىّ خفىّ، لطفك الخفىّ الخفىّ الخفىّ، الذى إذا لطفت به لأحد من عبادك كُفِىَ، فإنك قلت وقولك الحـــق: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ (الشورى:١٩).

وروى الغزالى: أن رجلا حبس مدة، وكان وِرْدُه ما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ (يوسف:١٠٠)، فجاءه شاب فى بعض الليالى، فقال له: قـــم واخرج، قال: كيف أخرج والأبواب مغلقة؟ قال: قم، ويحك! فقـــام، وخـــرج فمـــا استقبله بابٌ إلا انفتح بإذن الله حتى أخرجه من البلده ثم قال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾

اللطيفة العشرون

شعر:

سلام عليكم والفـــراق شديــد وشوقـــى إليكم لا يزال يزيـــد

يقبل الأرض التى لم تزل محفوفة بالغرائب، مأمولة بالصلات والرغائـــب، وينهى ولاءً يخلص فيه الإنابة، ودعاء يرفعه إلى مواطن الإجابة، ولم يزل العبـــد متذكرا جميل عوائد الجناب العاطر، وجزيل فوائد السحاب الماطر، حرس الله طيب القلب والبدن، غير أنه شديد الشوق إلى ذلك الوجه البهى الحسن، شاكيا إلى الله من الدهر المشتت بين الإخوان، المصر على الإساءة والنادم على الإحسان، سائلاً من الله تقريب ساعات السرور، بلقياه على أجمل الأمور، فإنه على كل شـــىء قـــدير، وبإفادة المطالب جدير.

نكتة:

أسد تقاربه، خير من حسود تراقبه.

شعر:

كل العداوة قد ترجى مودتهـــا إلا عداوة من عاداك من حســـد

والسيد لا يخلو من ودود يمدح، وحسود يقدح.

شعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلـــــة طويت أتاح لها لســـان حســـود

حكاية:

·قال الشيخ صفى الدين: كان الشيخ مفرج وليا عظيم الشأن، جسيم البرهـــان، وكان عبدا حبشيا اصطفاه الله تعالى بلا أنساب معلومة، ولا مقامات معهودة، أخذه عن حسه أخذةً عظيمةً، أقام فيها ستة أشهر، ما استطعم فيها طعاما ولا شرابا، فلما رأى سيده حاله تغير ضربه فلم يتأثر بالضرب فظن أن به الجنون فاستندب شخصاً يضربه ليفيق ويتناول الغذاء، فكان الضارب يقول للجِنِّيَّة بزعمه: اخرجى، فيقــول الشيخ: قد خرجت- يعنى نفسه- فقيدوه وغابوا عنه، ثم جاءوا إليه، فوجدوه خارجا عن المكان الذى حبس فيه، فلما تكاثرت عليهم كراماته، احضروا فراخــاً مــشوية فقال: طيرى، فطارت بإذن الله تعالى، فتلبثوا عنه. تواترت كراماتــه، واشــتهرت ولايته وظهرت بركاته، رضى الله تعالى عنه وأرضاه.

اللطيفة الحادية والعشرون

شعر:

يقبـــل الأرض عبد لو أراد بـــأن يبدى من الشوق ما لاقاه ما قـــدرا

لم يمض وقت له إلا بذكركـــــم وكيف ينساكم والبر قد غمـــــــرا

أدام الله المجلس السامى المولوى فى دولة تبسم ثغر جمالها، وتـــرنم طـــائر سعدها وإقبالها، وتخضب مراتع جنانها، وتعشب مرابع أرجائهـــا، ولازال روض مكارمه يتسلسل مطلق مائه، ويصبح معتل هوائه، ويندى محيا نواله، وتراق الحميا بآصاله، وينهى أشواقا حديثُ غرامشها قديم، وختيم عزائها خضيم، يتأجج حـــصب نارها، ويتوهج لهب أقرارها، ويضطرم لظاها، ويرمى بمحـــصب القلـــب جمـــار غضاها، وكيف لا يكون كذلك وقد فارق وجهه الذى لو سرى بـــشره فـــى وجـــه الأصيل لما أصفرَّ، وفى عابس الدجن لما زال ثغر برقه يبسم ويفتـــر، وأخلاقـــه الكريمة التى هى أرق من الراح، وأطيب وأصفى من الماء القراح، وبعد،

فعهود دولته بوسم الوفاء موسومة، وبولى الولاء مرسومة، وهو يـــسأل الله سبحانه أن يعيد عيد الوصال باسم الأطراف أنيفاً، مائس الأعطاف وريفـــاً، ســـفح ظرف يراعه فى خد قرطاس دموع مداده. وسرح طرف قلمه فـــى روض بلاغـــه بكف جواده.

نكتة:

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه: لا تبذل رِقَّـــك، لمن لا يعرف حقَّـــك.

شعر:

رغبتَ فى بذلِ نذلٍ أنت تخدمـــه ولو قنعتَ بما أوتيتَه خدمـــــــك

أرقت ماء حياءٍ ما له عــــوض وكنت أعذر عندى لو أرقت دمـــك

وقال بعظهم- نظيره:

شعر:

فى خدمة الخلق ما لنفســـــى من جملة الطيبـــات حصــــــه

شربة ماء وألف هـــــــــم لقمة خبز وألــــف غُصَّـــــــه

حكاية:

قال اليافعى قدس الله روحه: روى أن الشيخ الكبير المشهور، المسمى بجوهر المشكور، الذى هو فى عدن مقبور، كان مملوكا فعتق، فكان يبيع ويـــشترى فـــى السوق، ويحضر مجالس الفقراء ويعتقدهم وهو أمى فلما حضرت وفاة الشيخ الكبير سعد الحداد المدفون فى عدن قال له الفقراء: من يكون الشيخ بعدك؟ قال: الذى يقع على رأسه الطائر الأخضر فى اليوم الثالث من موتى عندما يجتمع الفقـــراء هـــو الشيخ فلما توفى الشيخ اجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام، فلما كان اليـــوم الثالـــث وفرغوا من القراءة والذكر، غدوا ينتظرون ما وعدهم به الشيخ، وإذا بطير أخضر وقع قريبا منهم فبقى كل واحد من كبار الفقراء يرجى ذلك ويتمناه، فبينما هم كذلك ينتظرون الوعد الكريم، وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم، وإذا بالطائر قد طار ووقع على رأس جوهر المذكور، ولم يكن يخطر له ولا لأحد من الفقـــراء ببـــال فقاموا إليه ليزفوه إلى زاوية الشيخ وينزلوه منزلة المشيخة فبكـــى، وقـــال: كيـــف

أصلح للمشيخة وأنا رجل سوقى وأمى ولا أعرف طريق العلماء والفقراء وآدابهــم وعلى تبعات الخلق، وبينى وبين الناس معاملات، فقالوا له: هذا أمر سماوى ولابد لك منه، والله يتولى تعليمك ومعونتك، وهو يتولى الصالحين، فقال: أمهلونى حتــى أمضى إلى السوق، وأبرأ من حقوق الخلق، فأمهلوه فذهب إلى دكانه، ووفى كل ذى حق حقه، ثم ترك السوق، ولازم الزاوية، ولازمته الفقراء، فصار جوهراً كاســمه. وله من الفضائل والكرامات ما يطول شرحه، فسبحان المنان الكــريم، والله يــؤتى فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

اللطيفة الثانية والعشرون

شعر:

خيالك فى التباعد والتدانـــــى   وشخصك ليس يبرح عن عيانـــى

وشوقك فى الجوارح مستكـــن   وذكـــرك لا يفارقـــه لسانـــى

لو مد العبد نطاق نطقه على اللسان، وجمع شمل أقلامه والبستان، وأظهـر مكنون أشواقه من الجنان، وحل عقود دمعه من الأجفان، لكاثر بها النجوم الزواهر، وفاخر بها الغيوم المواطر، والله تعالى المسئول اجتماعا ينفى وحشة العباد، بطيب أنس الميعاد، إنه سميع مجيب.

نكتة:

خَلِّ من قلَّ خيرُه، لك فى الناس غيرُه.

شعر:

إذا لم يكن صدر المجالس سيــدا   فلا خير فيمن صدرته المجالـــس

حكاية:

حكى عن إبراهيم بن أدهم البلخى رضى الله عنه: أنه قال: مررت براعـــى غنم، فقلت له: أعندك شربة ماء؟ فضرب بعصاه حجرا؛ فانبجس منه الماء، قـــال: فشربت منه، فإذا هو أبرد من الثلج، وأحلى من العـــسل، فبقيـــت متعجبـــا، فقـــال الراعى: لا تتعجب فإن العبد إذا طاع مولاه أطاعه كل شيء. توفى إبراهيم بن أدهم ابن منصور البلخى رضى الله تعالى عنه سنة ستين ومائة، وكان من أبناء الملوك.

روى عن قتادة ومالك بن دينار والأعمش وأبى حنيفة، وصحب ســفيان الثــورى والفضيل بن عياض، وأخذ طريق التصوف عن أبى عمران موسى الراعى، وهــو أخذ عن أويس القرنى، وهو أخذ عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وهو أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اللطيفة الثالثة والعشرون

شعر:

رحلت عنكم وقد خلفت عندكـم قلبا تهيج له الأشواق بلبـالا

بدأت بالبين لكن ما رضيت بـه وزلت عنكم وفرط الحب مـازالا

يا من جفونا وأبلونـا مقاطعة نسيتمونا وعهد البعد مـا طالا

لا تحسبونا تبدلنا بغيركـم فالحب باقٍ وذاك الوجد ما حـالا

إن قدر الله أن الدار تجمعنـا أبدى لكم من صفات الشوق أحوالا

ما وجد الغريب عند فراق الوطن، والروح عند مفارقة البدن، بـأكثر مـن وجدى لفراق سيدنا وسندنا أمتع الله فى السعادة ظله، ورفع فى درجـات الإقبـال محله، فلقد استوحشت لفراقه وحشة نسيت بها الأنس، ووجدت ظلمة لا يجليها نور الشمس، فأضحت منها سماء السرور قد انفطرت، وبحار الأشواق قـد تفجـرت، ووحوش الوحشة قد حشرت، وموءودة التلاقى قد سئلت، بأى ذنب قتلت، فأسأل من كور شمس التدانى، وعطل عشار الأمانى، أن يزلف لنا جنات القـرب ومآبـدها، ويطفى عنا نار البعد ويخمدها، بالليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس.

شعر:

إذا سمـح الدهـر بلقياكـمُ وعاد بالشمل كمـا كانـا

فسوف نجزيه على فعلـه شكرا على مـا كان أولانـا

وعندى من برح الوجد، ما جاوز الحد، وجل مقداره عن العد، والله يكرمه بلم الشتات، ويعيد الأيام الذاهبات.

نكتة:

قال قس بن ساعده رضى الله عنه: أحصيت فى بنى آدم ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملها سترت عيوبه كلها، قيل: وما هى؟ قال: حفظ اللسان. قال بعض السلف: صمتٌ يعقبك الندامة، خيرٌ من نطقٍ يسلبك السلامة.

شعر

احرز لسانــك أن تقول فتبتلى إن البــلاء موكل بالمنطــق

حكاية:

حكى عن بعض الصالحين: أنه قال: دخلت الخلوة وعاهدت الله أن لا آكل شيئا إلا بعد أربعين يوما، فمكثت نيفا وعشرين يوما، واشتدت على الفاقة والضرورة، ولم أشعر بنفسى إلا وأنا فى السوق، وإذا أنا بفقير يتمنى فى السوق ويقول: تمنيت على الله رطل خبز، ورطل شوى، ورطل حلوى، قال: فكنت أستثقله وهو يطوف فى السوق، ويمر على ولا يكلمنى، وأقول فى نفسى: والله إن هذا لثقيل، يتمنى هذه الشهوات العزيزة، وأنا أطلب كسرة يابسة، وما حصلت لى، فلما كان بعد ساعة حصل له الذى يتمناه، فجاءنى وأعطانيه، وعصر بأذنى، وقال: من الثقيل؟ الثقيل الذى نقض العهد، وخرج من الخلوة لأجل الشهوة، أو الذى يطلب من الطيبات والناس ما يرد عليه القوة والحواس؟ ثم قال: إن الذى يطوى الأربعين يطويها بالتدريج، ولا يثببها وثبة واحدة، فيثور كلب الجوع ويهيج.

اللطيفة الرابعة والعشرون

شعر:

وصـــل الكتـــــاب فخلتـــــه مسكاً تنفًـــــــــس عن رياض

فسواده إنسان عينـــــــــى والبيـــــــاض من البيـــــاض

سطور وردت فأهدت للأبصار قوتها، وللأفكار مـــسرتها، فطفقـــت أجتلـــى شموسها المشرقة، وأجتنهى ثمارها المونقة، عن جناب سيدنا مد الله عليـــه ظـــلال السعادة، وأحنى على رغم أعاديه ما كان له من إرادة، فصرت ما بين متلذذ بالشكر لأياديه، وشاكى من الزمان وتعديه، فلقد وجدت من فراقه أسفا، أذاق القلب غراما، وأذاب الجسم سقاما، وكيف لا يحزن لفراق من هو للدنيا نفس، وللآفـــاق شـــمس، ولكن لا عدمت النفس حس ولائه، أدام الله سعادته دواما لا تقطعه أيدى الحَـــدَثان، ولا تتصرف عليه صروف الزمان.

نكتة:

علمٌ لا يصلحك ضلال، ومالٌ لا ينفعك وبال.

شعر:

أيا سامعا ليس السماع بنافــــــع إذا أنت لم تفعل فلست بسامــــــع

إذا كنت فى الدنيا عن الخير عاجزا فما أنت فى يوم القيامة شافعـــــى

حكاية:

قال اليافعى: روينا عن الشيخ الكبير على بن المرتضى اليمنى: أنــه خــرج يوما من زبيد إلى الأموات ومعه تلميذ له، فمر فى طريقه على قــصب ذرة كبــار فقال للتلميذ: خذ معك من هذا القصب ففعل المريد، وتعجب فى نفسه، وقــال: مــا مراد الشيخ بهذا؟ ولم يقل له الشيخ شيئا حتى بلغا إلى محلة قوم يقال لهم: التنــاكر يأكلون الميتات، ويشربون المسكرات، ولا يعرفون الصلوات، وإذا بهــم يــأكلون ويشربون ويلعبون ويلهون، ويطربون ويغنون، ويضربون بالطبل، فقــال الــشيخ للتلميذ: ايتنى بهذا الشيخ الطويل الذى يضرب بالطبل، فأتاه التلميذ، وقال له: أجب الشيخ، فرمى بالطبل من وقته، ومشى معه إلى الشيخ، فلما وقف بين يديــه قــال الشيخ للتلميذ: اضربه بالقصب حتى تستوفى منه الحد، ففعل، ثم قال له الشيخ، امش قدامنا، فمشى حتى بلغوا البحر، فامره الشيخ أن يغسل ثيابه ويغتسل ففعل، وعلمــه الشيخ كيفية الوضوء، ثم علمه كيفية الصلاة، فتقدم الشيخ وصلى بنا الظهر، فلمــا فرغوا من الصلاة قام الشيخ ووضع سجادته على البحر، وقال لــه: تقــدم، فقــام ووضع قدميه على السجادة، ومشى على الماء حتى غاب عن العين، فالتفت التلميذ إلى الشيخ، وقال: وامصيبتاه واحسرتاه! لى معك كذا وكذا سنة ما حصل لى شىء من هذا، وهذا فى ساعة واحدة حصل له هذا المقام والكرامات العظام!! فبكى الشيخ وقال: يا ولدى! آيش كنت أنا، هذا فعل الله تعالى، قيل لى: فلان من الأبدال تــوفى فأقم فلانا مقامه، فامتثلت الأمر كما تمتثل الخدام، ووددت أن لو حصل لــى هــذا المقام، رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

اللطيفة الخامسة والعشرون

شعر:

فكان كتابا كلما رام ناظـــــرى رأى فيه لذات العيون النواظـــــر

وما كان إلا روضة ذات بهجـــة تزيد على حسن الرياض النواضر

ما ابتهاج المحب بوصال محبوبه بعد فراقه، ولا سرور المأسور عند البشارة بإطلاقه، بأعظم من ابتهاجى بالسطور الواردة من سيدنا، أدام الله بقـــاءه وأيامـــه، ورفع على بروج السعادة أعلامه، فى نعمة طويلة الأعمار، جليلة الآثار، ما لمـــع فجر فى ضو، وهبت رياح فى جوّ، فاستبشرت استبشار الخائف بالوعد بَعد الوعيد، واستقبلته استقبال الهلال فى ليلة العيد.

نكتة:

قليلٌ يغنى، خيرٌ من كثير يطغى.

شعر:

فكم دقت ورقت واسترقـــــت فضولُ العيشِ أعناقَ الرجــــــال

حكاية:

قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين، وبركة أهل زمانه من العاملين، أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه: لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مـــصر توجهـــت لأدعو،فقيل لى: لا تدعُ فإنه لا يسمع لك ولا لأحد منكم فى هـــذا الأمـــر دعـــاء،

فسافرت إلى الشام فلما وصلت إلى ضريح الخليل تلقانى الخليل عليه السلام، فقلت: يا رسول الله اجعل ضيافتى عندك الدعاء لأهل مصر، فدعا لهم، ففرج الله عنهم.

اعلم أن الله تعالى إذا أنزل أمرا استغاث إليه فى ذلك الأمـــر الأوليـــاء ثـــم الأبدال ثم النجباء ثم النقباء ثم العرفاء ثم الأقطاب، فإن هم لم يجابوا رفعوا ذلك إلى القطب الغوث فتستجاب دعوته.

حكاية:

حكى فى "الفتوحات المكية" عن بعض الاولياء: أنه سجد وحلـــف لا يرفـــع رأسه من سجدته حتى ينزل الغيث، فأبرَّ الله تعالى قسمه.

حكى عن بعض الأولياء: أنه وقف على رأس بئر وقد عطش، ولم يكن لـــه حبل ولا ركوة، فقال: إن لم تسقنى لأغضبن، ففاض الماء على رأس البئر، فشرب.

نكتة:

قال قطب مقامات اليقين، وحجة الله على العافين، أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى: إن لله عبادا لو دعوا على الظالمين، لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات فى ليلة واحدة، ولكن لا يفعلون. حتى قالوا: لو سألوه أن لا تقوم الساعة لـــم يقمها. قال أبو العباس المرسى: هذا الساحل محفوظ ما دمت حيًّا، رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

اللطيفة السادسة والعشرون

شعر:

سلامى وما التسليم عنى بنافـد إذا لـم أقبل ظهـر يدك بالفـم

وإن عاقنى دون الزيادة عائـق فإنـى على عهدى لك المتقـدم

وصلّ. أطال الله بقاء الحضرة العالية، وأدام سموها، وزاد فى درج المعالى، وحقق من المقاصد والمطالب مرجوها.

شعر:

فقرت به يمينى وقبله فمـى ورق به عيشى وأشرق إظلامـى

ووصل بسروره روائح السرور، ونور بـوروده جنـة الأنـس والحبـور، وشكرت الله على سلامتها، التى هى مغرس كل سعادة، ومعدن كل سيادة، أما مـا بان عنه من الرغبة فى المودة والولاء والمحبة، فلقد عبرعما كان فى قلبى مكنونا، وحقق من أملى ما كان مصونا، إلا أنه هو السابق فى جميع الأحيان، إلى رعايـة جانب الإخوان، وهذه نعمة سبق بإسدائها إلىّ، وكرامة تقدم بإفضائها على، من غير سبب قدمته، ولا موجب التزمته، فلا زالت البركات إلى جانبه الخصيب مترادفـة، ولا برحت النعم فى فنائه الرحيب متضاعفة.

نكتة:

من تعزز بالله لم يضرُه سلطان، ومن توكل عليه لم يقْرَبْه شيطان.

حكاية:

حكى عن الشيخ أبى العباس الحِرار- بالحاء المهملة المكسورة- أنــه قــال: دخلنا على الشيخ أحمد الأندلسى ونحن جماعة من المريدين، فنظر الــشيخ إلينــا، وقال: من شرب من مياه مختلفة دَاخَلَ مزاجه التغير، وقال الــشيخ أبــو العبــاس الحرار: رأيت من أصحاب الشيخ أبى حامد أربعمائة شاب فى دار كلهم فى ســن خمس عشرة سنة أو نحوها كلهم مكاشفون، فلما كان فى بعض الأيام بعث الــشيخ خادمه إلىَّ، فمشيت إليه، فوجدت عنده جماعة، فلما جلست أُخِــذْتُ عــن حــسى، وشاهدت الشيخ قائما على رأسى، ومعه قدوم وهو يهدم فىَّ وأنا شــاهدٌ أعــضائى تتفرق على الأرض، إلى أن وصل إلى كفى ولم يبقى منى شىء إلا شَمَلَه الهدم، ثم أخذ يبنى بناء جديداً من كفى صاعداً إلى أن بلغ دماغى، ثم قال: قــد اســتغنيتَ، فسافر إلى بلدك، فسافرت، فلما خرجت من بين يدى الشيخ انكشف لى العالم العلوى جلياً بحيث لا يحجب عنى منه شىء، رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

اللطيفة السابعة والعشرون

وصل كتاب المجلس السامى المحروس علامة العلمــاء، أشــرف القــضاة والحكام، أدام الله حراسته وأبر توليته، ومجد تعليته، حاكيا لمعانى سعادته، رافعــا لمغانى سيادته، فسر به القلب، وجلى الكرب، فكان فى عينى أغض مــن الــورد الجنى، والبرد الروى، وأما ما سرده من وصف الشوق ونوازعه، وشرح التــوق ولواذعه، فكأنه استعارة من جنانى، ونطق بهما لسانى، ولو ساعدتنى الليالى فــى تصرف حالاتها، وتقلب دلالاتها وإشاراتها، لما كانت تمنعنى من الوصال شــهرا، وتوجعنى بالفراق دهرا، وإلى الله الرغبة أن يجمعنى وإياه فى أحسن حال، وأنعــم بال، وأن يجعل وجه الوصال موردا، وشمل الفراق مبددا، والمسئول من أخلاقــه الطاهرة الزكية، وأعراقه الطيبة المرضية، أن يجدد بمواصلة كتبه أنسى، ويفــرج بتواترها كربى وهجسى.

نكتة:

قال الفضيل بن عياض: قلت لداود الطائى: دلنى على رجل أجلس إليه، فقال تلك ضالة لا توجد، رحمهم الله ورضى عنا بهم، ورضى عنهم أجمعين.

شعر:

كـــم حســـرة فى الحشـــا	مـــن ولـــدٍ قـــد انتشـــا
كنـــا نشــــاء رشــــده	فمـــا انتشـــى كمـــا نشـــا

حكاية:

حكى عن سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه: أنه قال: لما كنت فـــى بدايتى، توضأت يوم الجمعة، فمضيت إلى الجامع، وجلست إلى الصف الأول، وإذا عن يمينى شاب حسن المنظر طيب الرائحة، فنظر إلىّ وقال: كيف تجدك يا سهل؟ قلت بخير، فبقيت متفكرا فى معرفته لى وأنا لم أعرفه، فبينما أنا كذلك إذا أخـــذنى حرقان بول فأكربنى، وبقيت على وجلٍ خوفا أن أتخطى رقاب الناس، وإن جلست لم يكن لى صلاة، فالتفت إلىّ، وقال: يا سهل! أخذك حرقان البول؟ قلـــت: أجـــل، فنزع حرامه عن منكبيه، فغشّانى به، ثم قال: اقضِ حاجتك، وأسرع تلحق الصلاة قال: فغشى علىَّ، ففتحت عينى، وإذا أنا بباب مفتوح، فسمعته يقـــول: لـــج البـــاب فولجتِ الباب، فإذا بقصرٍ مشيد وفيه نخلة، وفى جانبها مطهرة مملوءة ماء، أحلـــى من العسل، وأبرد من الثلج، ومَنْزَلَة إراقة الماء، ومنشفة معلقة، فأرقت الماء، ثـــم اغتسلت وتوضأت، وتنشفت بالمنشفة، فسمعته ينادى ويقول: إن كنت قضيت أربك فقل نعم، فقلت: نعم، فنزع الحرام عنى، فإذا أنا جالس فى مكانى، ولم يشعر بـــى أحد، فبقيت متفكرا فى نفسى وما جرى، فقامت الصلاة وصلى النـــاس، فـــصليت معهم ولم يكن لى شغل إلا الفتى لأعرفه، فلما فرغ تبعت أثره، فإذا هو قد دخل إلى دَرْبٍ، فالتفت إلىَّ، وقال: يا سهل كأنك ما أيقنت بما رأيت، فلج الباب، ثـــم قـــال: انظر، فنظرت الباب بعينه الذى ولجته، ورأيت النخلة والمطهرة، والحـــال بعينـــه والمنشفة مبلولة ،فقلت: آمنت بالله تعالى، قال: يا سهل! من أطاع الله أطاع له كـــل شيء، يا سهل! اطلبه تجده، فتغرغرتْ عيناى بالدموع، فمسحتها، فلمـــا مـــسحتها فتحت عينى فلم أرَ الفتى، ولا القصر، ثم أخذت فى العبادة.

اللطيفة الثامنة والعشرون

أطال الله بقاء سيدنا الصدر الكبير، وأدام دولته وعلاه، وقدرتــه وســناءه، وبهجته وبهاءه، ومهجته وضياءه، والصدور منشرحة، والأمال منفسحة، والأيــام أعياد، ونجوم الجد والأسود سياد، بما أباح الله من قدر الحضرة الــشريفة والــسُّدَّة المنيفة الصدرية الوزيرية الجمالية، حفظها الله بالهناء من الدرجة السنية، والنعمــة البهية، والعز الظاهر، والشرف الباهر، والمجد الرفيع البــاذخ، والمحــل العلــىّ الشامخ، فلكل عين به قرة، ولكل قلب به مسرة، ولكل لسان به بحمد الله انطــلاق، ولكل ضمير به على الرضا من صروف الدهر أطباق، وقرار للمجد فى نــصابه، وإعادة الحق إلى أربابه، إذ هو- أدام الله أيامه- بهذه المرتبة الرفيعــة، والرتبــة المنيعة، فإنه- بحمد الله تعالى- بنيان الشرف، وورث المجد عن خير سلف، وجمع بين المال والنسب، والفضل والأدب، وجرب معظم الأمور، واطَّلَع علــى أحــوال الجمهور، فهنأ الله الإسلام وأهله بهذه النعمة البيضاء، والكرامة الشهباء، وكان من الواجب على الخادم الحضور على أبوابه بأنواع الثنا، والقيام بشرائط الغنى، علــى ما تقتضيه شرائط المحبة والولاء، غير أن الأعذار الواضحة عائقة عــن المــراد، وحالت بينه وبين المرتاد، وللرأى العالمى الوزيرى فى قبول العذر مزيد الرأى.

شعر:

والعذر عند خيار الناس مقبــول   والطبع فى حبكم لا شك مجبـــول

نكتة:

لا تثق بالدولة، فإنها ظلٌّ زائل، ونجمٌ آفل، ولا تعتمد علــى النعمــة، فإنهــا ضيفٌ راحل.

شعر:

وليس يصح فى الأذهان شىءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل

حكاية:

حكى عن سهل بن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه: أنه قال: أول ما رأيت من العجائب والكرامات أنى كنت فى موضع خالٍ، وحضر وقت الصلاة فأردت تجديد الوضوء فلم أجد ماء فاغتممت لفقده، فبينما أنا كذلك، وإذا دبٌّ يمشى على رجليه ومعه جرة خضراء وقد أمسك يده عليها حتى دنا منى وسلم علىّ ووضع الجرة بين يدى فجاءنى اعتراض العلم فقلت هذه الجرة والماء من أين هو؟ فنطق الدب وقال يا سهل! إنا قوم من الوحوش قد انقطعنا إلى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل، فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا فى مسألة، إذ نودينا: ألا إن سهلا يريد ماء يجدد به الوضوء فوضعت هذه الجرة بين يدى، وإذا بجنبى ملكان فدنوت منهما فصبا فيها هذا الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء، قال سهل: فغشى علىّ فلما أفقت، وإذا بالجرة موضوعة ولا علم لى بالدب أين ذهب، وأنا متحير إذ لم أكلمه، فتوضأت، فلما فرغت أردت أن أشرب منها فنوديت من الوادى يا سهل لم يؤذن لك فى شرب الماء بعد فبقيت الجرة تضطرب وأنا أنظر إليها فلا أدرى أين ذهبت، قال بعض الفقراء: خدمت سهلا ثلاثين سنة، فما رأيته وضع جنبه على فراش لا بالليل ولا بالنهار وكان يصلى صلاة الصبح بوضوء العشاء، توفى سهل ابن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ولقى ذا النون المصرى.

اللطيفة التاسعة والعشرون

وصل الكتاب الصادر من محروس الجناب، أدام الله تأييده، وبسطته وتمكينه فأطلع عليَّ من السرور كواكب، ووجه إلى من الأنس والفرح مواكـــب، وقرأتـــه ووقفت على خبر سلامته، التى هى لأمنية المجد قاعدة، ولقلائد الشرف واســـطة، وحمدت الله على ذلك حمداً يمترى لمزيد إكرامه، ويقتضى مزيد إنعامه، ولو أخذت فى وصف ما يولينى من الجميل، وينعم على من الأكرام والتمجيد لطال الكتـــاب، وامتد الخطاب، والمسئول من فضل الله أن يجعل هـــذه النعمـــة علينـــا ميمونـــة، وبالسعادة وحسن العافية مقرونة، إنه ولى ذلك والقادر عليـــه، فيتفـــضل المجلـــس المحروس بإدامة كتبه المشتملة على شوامخ أوطاره، والمخبرة عن جميع آثاره.

نكتة:

عِشٌ طار خيارُه، وبقى شرارُه.

شعر:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهـــــم وبقيت فى خلف كجلد الأجـــــرب

حكاية:

قال الشيخ أبو العباس الحرار رضى الله عنه: وردت من السياحة على الشيخ أبى العباس المرسى فلما جلست إليه سأل سائل، فقال: يا سيدى! العقـــل أفـــضل أم الروح؟ فشاهدت الشيخ قد أسرى بروحه، وأسرى بروحى معه إلى ســـماء الـــدنيا، فاشتغلت برؤية أملاكها وأنوارها، وغاب الشيخ عنى فطلبت مستقرا أستقر فيه، فلم أجد فنزلت ووقفت فنظرت إلى الشيخ وإذا هو مستغرب فى غيبته، ثم بعد لحظـــة

حضر، فقال للسائل: لما أسرى بالنبى صحبه جبريل عليهما السلام، فانتهى معــه جبريل إلى حده ووقف، وقال: يا محمد ما منا إلا له مقام معلوم، فتقدم النبى إلـــى مقامه الذى اتصل به، فكان جبريل روحا ومحمد صلى الله عليه وسلم عقلا؛ أخــذ العلم من معدنه، ولم يأخذه من تقليد ولا معقول، وذلك عادة شيوخ هــذه الطائفــة أرباب المعارف والعلوم اللدنية.

اللطيفة الثلاثون

شعر:

سلام الله ما لمعت بروق على من ليس يسمح بالسلام

وقد عرف الجناب العالمى العاملى، المالكى الكاملى، أدام الله سموه وعلاه، ورفعته ومناه، وبهجته وبهاه، أن المستقيم ربما يعوج، والساكن قد يضطرب ويرتج، وأن المستوى قد يعتريه أود، ولا يعترى من الزلل أحد، والأصفياء مع كمالاتهم العجيبة الجليلة، وحالاتهم الجميلة، قد امتحنوا بالصغائر، وعصموا من الكبائر، وكانوا لا يخلون عن زلة وسقطة، ولا يصابون عن سهوة وغلطة، والنسيان بين الناس لا يجرى مجرى العصيان، ولا يعد السهو من جملة الطغيان، ومن أخلاق السادة الكرام، ومذاهب العلماء العظام، الصفح عن خَدَمَتِهم فى زلاتهم، وترك معاتبتهم على غفلاتهم، لا سيما من طالت خدمته، وثبتت قدمته، وشابت بفنائهم لمته، ومن نسك فى الصفاء والخلوص نسكا، ونظم فى المصادقة والمولاة سلكا، استوجب الإغضاء عن كبائره، وبوادره وصغائره، فكيف من نسك لا يغفر، وأظهر من حسن الأدب ما لم يظهر، فهل جزاء التائب إلا أن تقبل توبته، وتغفر حوبته، وتنسى ذنوبه، ولا تذكر عيوبه، والمأمول من وفور فضله، وشمول إحسانه وطَوْلِه، أن يرخى علىّ ستور معروفه وخيره وكرمه، ويعاملنى معاملة خدامه وحشمه.

شعر:

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

نكتة:

من ساء أدبه، ضاع نسبه.

قال بعض الحكماء: الفخر بالنفس والأعمال، لا بالأعمام والأخوال، وقيــل: الشرف بالهمم العالية، لا بالرِّمَمِ البالية.

شعر:

إذا ما الحــيُّ عاش بذكر مَيْــتٍ فذاك المَيْــتُ حــيٌّ وهَــوَ مَيْــتٌ

ومن يــك بيتـــه بيتا رفيعـــاً وهدَّمــــه فليــس لــذاك بيـــتُ

حكاية:

قال ابن العربى: أخبرنى عبد الكريم بن وحشى بمكة ســنة تــسع وتــسعين وخمسمائة، قال لى: ركبت البحر، فبينما نحن نجرى فى وسط البحر، وقد نام أهل المركب، وإذا بشخص من الجماعة قد قام يريد قضاء الحاجة، فزلقت رجله فوقـــع فى البحر، فأخذته الامواج، فسكت الرئيس ولم يتكلم، وكانت الريح طيبة، فما شعر رئيس المركب إلا والرجل جاء على وجه الماء، حتى دخل المركــب، وصُــحْبَتَه طائر كبير، فلما وصل إلى المركب طار الطائر، وقعد على الــصارى، ثــم قــدم منقاره إلى أذن ذلك الرجل كأنه يكلمه، ثم طار فلم يقل له الرئيس شيئاً، حتــى إذا كان فى آخر النهار جاء إليه الرئيس، وسأله الدعاء، فقال له الرجل: ما أنــا مــن القوم الذين يُسْأل منهم الدعاء، فقال الرئيس: رأيتك البارحة وما جرى عليك ومنك، فقال: يا أخى ليس الأمر كما ظننت، ولكنى وقعت فى البحر، وأخذتنى الأمواج لما تيقنت الهلاك، وعلمت أن الاستغاثة بكم لا تفيد، فقلــت: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (فصلت:١٢)، مستسلما لقضاء الله تعالى وقدره، فما شعرت إلا وطائر قــد قـــبض

على، وأقامنى من بين الأمواج، وحملنى على موج البحر، إلى أن أدخلنى المركب كما رأيت، فتعجبت من صنع الله تعالى، وبقيت أتطلع إلى الطائر، وأقول: يا ليـــت شعرىَ من يكون هذا الطائر الذى جعله الله تعالى سبب نجاتى وحياتى؟! فمد هـــذا الطائر منقاره من أعلى الصارى إلى أذنى، وقال لى: أنا كلمتك: ذلك تقدير العزيز العليم، وبه سُمِّيتُ، فكان اسم ذلك الطائر: ذلك تقدير العزيز العليم.

اللطيفة الحادية والثلاثون

شعر:

روحى بروحك ممزوجٌ ومتــصلٌ وكل عارضـــةٍ تؤذيـــك تؤذينــــى

أظل الله الجناب العاطر، وأدر وابل السحاب الماطر، فى دولة بدورها باهرة، وصدورها فاخرة، ما أهديت تحيات الأوراق، وكتبت آيات الأشواق، مـــن شـــوقه الذى لاحت أقمار شهوده، وفاحت أزهار وجوده، إلى مـــشاهدة غرتـــه النوريـــة، وطرته الفخرية، التى عرائس عواطفها جميلة، ونفائس معاطفهـــا جزيلـــة جليلـــة، ويعتذر عن التقصير فى الطواف بكعبة بِشْرِه البهيج، والتوجه إلـــى قبلـــة نـــشره الأريج، واجتناء أزهار فرائده من شقائق معانيه، واقتناء أسرار فوائده مـــن بحـــار شانيه، بإيثار التخفيف، والقناعة بالطفيف، وهو مع ذلك ملازم على أداء وظـــائف الدعاء الصالح، وقضاء رواتب المحمدة والثناء الفائح، مستزيدا من الله تعالى تمـــام سعده وإقباله، وتضاعف مجده وإجلاله.

نكتة:

من طالت غفلتـــه، زالت دولتـــه.

شعر:

وعاجز الرأى مِضْيَاعٌ لفرصته حتى إذا فاتن أمرٌ عاتب القدرا

حكاية:

حكى عن سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه: أنه قال: صعدت إلــى جبل قاف، فرأيت سفينة نوح عليه السلام مطروحة فوقه.

وقيل لأبى يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه: هل بلغت إلى جبل قــاف؟ فقال: جبل قاف أمره قريب، بل جبل كاف، وجبل صاد، وجبل عين، وهى جبــال محيطة بالدنيا، حول كل أرض جبل منها، بمنزلة حائطها، وجبل قاف محيط بهــذه الأرض.

وقيل لأبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه: هل رأيت جبل قاف؟ قال: نعم، وجبل صاد.

اللطيفة الثانية والثلاثون

وصل شريف الكتاب، من رحــيم الجنــاب، أدام الله ســعادته، وزاد إقبالــه وسيادته، وهو بديع المعانى، رفيع المبانى، بحلىّ الروض مسطور، والوشى منثور، بخط كالنار أو أزهر، ولفظ كالدر أو أنور، وصل فأوصل أنسا كان بعيدا، وملأ قلبا كان الشوق إليه عميدا، فأما ما أعارنى من فضائله العلية، وفواضله الجلية، التــى هو موشح بحليتها، ومتجمل بحلتها، فقوبل بصالح الدعاء، وفائح الحمد والثناء، أدام الله لذيذ خطابه بالزلال، وجديد كتابه بالنوال، الذى أشرق شروق الكواكب، وجــاد جود السحائب، وسار ذكره بالآفاق، على نجائب الأوراق.

نكتة:

أجهل الناس من يمنع البر، ويطلب الشكر، ويفعل الشر ويتوقع الخير.

شعر:

إذا ظلمت امرءًا فاحذر عداوتــه من يزرع الشوك لا يحصد به العنبا

حكاية:

قال بعض الأولياء: رأيت الغوث، وهو القطب، بمكة ســنة خمــس عــشرة وثلاثمائة على عجلة من ذهب، والملائكة يجرون العجلة فى الهواء بسلاسل مــن ذهب، فقلت: إلى أين تمضى؟ فقال: إلى أخٍ من إخوتى اشتقت إليه، فقلت: لو سألت الله تعالى أن يسوقه إليك لفعل، فقال: وأين ثواب الزيارة؟ قال: واسم هذا القطــب أحمد بن عبد الله البلخى، رضى الله تعالى عنه.

وقال سهل بن عبدالله التسترى رضى الله عنه: إذا اشتغل العبد الولى بعبادة أو سبب من الأسباب يجيء ملك من الملائكة، فيتكلم على شبهه، يحسبه الناس أنه ذلك الولى وهو الملك.

اللطيفة الثالثة والثلاثون

شعر:

بنفسى من أهدى إلىَّ صحيفـــــةً مكرمةً مملوءةً حشْوهـــا نُعْمَـــى

فنلتُ بها السؤال الذى كنت آملاً وزاد بها الشوق الذى كان بى قِدَمَا

إن من جعل هداياه وشْياً منشورا، وصير عطاياه أدبا منثورا، فكانــت فــى القرطاس خطا مرقوما، وفى القياس درا منظوما، فأمالت حشاشات النفوس إليهــا، وتساقطت حبات القلوب عليها، لسنىّ المواهب جزيل الرغائب، رفيــع المراتــب، كريم المناقب، وهل هو إلا الحبر ابن الحبر، والبحر ابن البحر، أســعد الله تعــالى الأرض ببركات قدمه، ونور القلوب بشموس حكمه، وأدام له علو المنزلة الفاخرة، وسمو المرتبة فى الدنيا والآخرة، مادامت كمية الزمـــان متـــصلة، وكميـــة العـــدد منفصلة، وأما الشوق فلذكره موضع غير هذا المكان، وإنما أذكر منه شعبة، حسب الإمكان.

شعر:

غيرى إذا وصف الصبابة والأسى أحصت تشوقه سطور كتابـــــــه

وأنا الذى لم تحصِ كثرة شوقـــــه من فرط لوعته وطول خطابـــــــه

فأضربت عن ذكر قليله وكثيره، وتجنبت وصف طويله وقصيره، لأن مثلى إذا قصد تحديده، لم يحصر تعديده، وكان كمثل المكلف نفـسه إحـصاء الرمـال، ومعرفة وزن الجبال، وذلك ما لا يدركه طول الآمال، ولا يوقف على حقيقته مجال من الأحوال، فأخرت بثه إلى حين التلاق، وخفوق المآق.

شعر:

عسى الدهر يمنينا ويدنى دياركم ... ويجمع ما بينى وبينكم الشمـــــلا

فأشكو تباريح الغرام إليكـــــم ... وحرُّ جَوَىً تبلى عظامى وما يبلـــى

نكتة

إذا ذلَّ عالِـمٌ؛ زلَّ عالَـمٌ.

شعر:

وكم تستر البلوى وأمرك ظاهـر ... وكم تدعى حقا وحقـــك باطـــــل

حكاية:

حكى اليافعى عن بعض الصالحين: أنه قال: ركبت البحر فى سفينة، وكـــان إلى جانبى رجل به علة البطن، فقام بالليل والمركب تسير فأخذت بيده، فلما قعـد على العود الذى يجلس عليه للوضوء ضربته موجة، فرمت به إلى البحر، فرجعت والناس نيام لم يعلم به أحد غيرى، فلما صليت الفجر، وإذا أنا بالرجل إلى جـانبى فقلت له: أليس قد وقعت فى البحر؟ فقال: بلى، فقلت حدثنى كيف كانـت قـصتك بعدى؟ فقال: لما وقعت فى البحر لم أبلغ إلى قراره، حتى جـاءنى طـائر عظـيم فأدخل رقبته بين رجلىّ، وشالنى من الماء، ونظر إلى المركب وقد سار، فطار بى

حتى وضعنى على مقدم المركب، ثم وضع منقاره على أذنى، فقال بلسان عربـــى: ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾(الإسراء:٥٨).

وروى عن بعض أهل الكوفة: أنه قال: بينما أنا مسافر إذ عرض إلى لصٌ فى وادٍ، وأراد قتلى، فقلت له: سألتك بالله العظيم إلا ما تركتنى وأخذت مالى، فقال: لابد من قتلك، فقلت: دعنى أختم عملى بركعتين، فقال: قم وافعل ما أردت، فقمـــت أصلى، فتلجلج لسانى، فمر بى، فقال: عجل، فألهمنى الله تعالى:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (النمل:٦٢)، قال: فرفعت صوتى بقراتها وأنـــا أبكـــى، وإذا بفارسٍ قد خرج من بطن الوادى وبيده رمح، فطعنه من ورائه، فقتله، فقلـــت لـــه: سألتك بالله تعالى من أنت؟! قال: أنا عبدٌ لمن يجيب المضطر إذا دعاه.

اللطيفة الرابعة والثلاثون

شعر:

إذا كتبكم لم تدن منى تشوقـــا بعثت لكم كتبى بشوقى إليكـــم

ولا حاجة لى فى سطور كتبتهـا سوى أننى أهدى السلام عليكـم

لدىّ لكم شوق ووجد فليتنـــى علمت بما لى فى القلوب لديكـم

ولما انقطعت عنى أخباركم، وبعد عنى مزاركم، ولا أجد لقلبى بدا منكم، ولا عوضا عنكم، أنشدت من حرارة البين هذين البيتين.

شعر:

كاتبتكم والدمع من مقلتـــى يفيض فيض الوابل الماطـــر

حتى لقد أشفقت مما جـــرى من مائه الهامى على ناظـــرى

سطور صادرة على عين عَبْرَى، وكبد حَرَّى، وأشـواق تتـرا، وصـبايات تترادف شفعا ووترا، إلى درة فجر السعادة، وطرة فخر السيادة، أبقاها الله تعالى فى دولة نجومها مشرقه، ورجومها محرقة، وأدام سعادته بالـسمو، وخـص زيادتـه بالنمو، وجعله من صروفه الزمان فى أمان، ومن حتوف الأوان فى حراسة كفالـة وضمان، وما شوقى وإن استغرقت الجهد، وجزت الحد، فى بث لاعجـه، وبـث مارجه، ليس بمحصور ولا معدود، ولا مستوعب ولا محدود، ولكننى اختـصرت فيما سطرت، واقتصرت على ما ذكرت.

شعر:

فاقنع من صفات مجد طويـــــل بمقالـــــى إن الكتـــــاب قصيـــــر

والعجب كل العجب من ذكاء فهم سريرته، وصفاء ذهن بـــصيرته، وكمـــال فتوة علومه، واعتدال مزاج فهومه، كيف استمطرنا سحائب النسيان، فى غياهـــب الهجران، من هذا الزمان، وحشا أخلاقه الفاخرة، وشيمه الطـــاهرة، مـــن اشـــتمال إرادته بالنسيان والإهمال، والتلفع بثياب الإغفال، فإنه من أكرم النـــاس عرفانـــا، وأحسنهم إحسانا، وأصدقهم عهدا، وأحفظهم ودا.

نكتة:

من كان هواه داؤه، فترك هواه دواؤه.

وقيل لبعض الحكماء: من الملك؟ قال: من ملك هواه.

شعر:

وأطيب الأرض ما للقلب فيه هوى سم الخيـــاط مع الأحباب ميـــــدان

حكاية:

حكى عن ابن عمران الواسطى: أنه قال: انكـــسرت الـــسفينة، وبقيـــت أنـــا وامرأتى على لوح، وقد ولدت فى تلك الحالة صبية، فصاحت بى، وقالت: قتلنـــى العطش، فقلت: أوَمَا ترَيْن حالنا؟ فرفعت رأسى، فإذا رجل فى الهواء جالس وفـــى يده سلسلة من ذهب، وفيها كوز من ياقوت أحمر، فقال: هاكَ اشرب، فأخذت الكوز فشربنا منه، فإذا هو أطيب من المسك، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، فقلـــت

له: من أنت يرحمك الله، فقال: عبدٌ لمولاك، فقلت له: بِمَ وصلت إلى هذا؟ فقـال: تركت هواى لمرضاته، فأجلسنى على الهواء كما ترى، ثم غاب عنى فلم أراه.

وقال بعض الفقراء: أشرفت على إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه، فرأيتـه فى بستان يحفظه، وقد أخذه النوم، وإذا حية فى فمها باقة نرجس وهى تروح بهـا عليه.

وحكى أبو سليمان الدارانى: قال: خرج عامر بن عبد قيس إلى الشام ومعه ركوة، إذا شاء صب منها ماءاً يتوضأ به للصلاة، وإذا شاء صب منها لبناً يشربه.

قال اليافعى: حكى أن ولياً من أولياء الله تعالى احتاج إلى النار، فمد يده إلى القمر، فاقتبس فى خرقة كانت معه.

وقال أبو يزيد: رأيت ربى فى المنام، فقلت له: يا رب كيف أجـدك؟ قـال: فارق نفسك، وتعالى.

اللطيفة الخامسة والثلاثون

أدام الله بقاء الجناب ذى الفناء المستطاب، فى سلامة سابغة الأنوار، وعافية مخضرة الأشجار.

شعر:

تجاوزت الأسواق حدّ كمالهـــا   وليس لغيرى اشتياق كمالهـــا

وشهد الله أنه مذ تغيب بالفراق، قد رعدت الجوانح من الاشـتياق، وتألفـت بروق الأشواق، وتدفقت سحب الآماق، فكلما حل عقود صبره الهجـران، نظمـت عقود دمعه الأجفان، فلم يزل من نيران مطالعته فى شرار، ومن طوفان مدامعتـه فى نثار، ولا يسوغ له الطعام والشراب، ولا يفارقه الحزن والاكتئاب.

شعر:

فراقك كنت أخشى فافترقنـــا   فما فارقـــت بعدك لا أبـــالى

وذكرك لا يزال سهير قلبـــى   جديد لا تغيـــره الليالـــى

والله المسئول أن يمن بالقدوم، ويشفى باللقا دهر ظلوم.

نكتة:

قال ذو القرنين: وقعنا فى الدنيا جاهلين، وعشنا فيها غافلين، وأخرجنا منهـا جاهلين.

حكاية:

قال اليافعي: رأيت قبرا فى بعض البلاد يزار، وسألت عنه أهل البلد، فقالوا كان فى هذا البلد رجل فقير، فمرض ثم مات، وكفنه إنسان من أهل الخير، فلما كان الليل رآه ذلك الإنسان الذى كفنه فى المنام، وقد خرج من قبره، وجاءه بحُلَّةٍ من حرير، وقال: خذ هذه الحلة عوض الثوب الذى كفنتنى فيه، ثم استيقظ من منامه فوجد الحلة عنده.

وقال الشيخ علىّ بن وهب السنجارى: بينما أنا نائم إذ رأيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى المنام، وقال لى: قد أمرت أن ألبسك هذه الطاقية، وأخرج من كمه طاقية ووضعها على رأسى، فاستيقظت من النوم والطاقية بعينها على رأسى.

اللطيفة السادسة والثلاثون

ما وصفه سيدى من صدق الوداد، وخالص المحبة التى ملكت صميم الفؤاد، ذاك وصف قد تحققه قلبى منه بشهادة الجنان، الذى هو أعدل من شهادة اللســان، والقلوب شاهدة، وان كانت الأجساد منا متباعدة، كما قال صلى الله عليــه وســلم: "**القلب إلى القلب رسول، زَوْرَتُه تشفى سَقَم أحبابه**"، بأنيق آدابه، ويفــرج كــرب إخوانه، بلطيف بيانه، ضاعف الله له الجميل عوائده، وجزيل فوائده.

نكتة:

ما كنت كاتمه عن عدوك، فلا تُظْهر عليه صديقك.

شعر:

احــــذر عـــــدوك مـــرةً ... واحــذر صديقـــك ألـــف مـره

فلربمــا هجـــر الصديـــق ... فكـــان أعلـــم بالمضـــــره

حكاية:

قال عبدالواحد بن زيد: سافرت أنا وأيوب السختيانى، فبينما نحن نسير فــى طرق الشام إذا نحن برجل على رأسه حطب، فقلت له: يا رجل من ربــك قــال: ألمثلى تقول هذا؟! وأشار بوجهه إلى السماء، وقال: إلهى حول هذا الحطب ذهبــا فإذا هو ذهب، ثم قال: أرأيتما هذا؟ قلنا: نعم، فقال: اللهم رده حطبا كما كان، فصار حطبا كما كان أولا، ثم قال: سلوا العارفين، فإن عجائبهم لا تفنى، قال عبد الواحد: فقلت له: هل معك شيء من الطعام؟ فأشار بيده، فإذا بين أيدينا جام فيه عسل، أشد بياضا من الثلج، وأطيب ريحا من المسك، وقال: كلا، فوالذى لا إله غيره ليس هذا

من بطن نحل، فأكلنا فما رأينا أحلى منه، فتعجبنا، فقال: ليس بعارفٍ من يتعجب من الآيات.

اللطيفة السابعة والثلاثون

قد طلع صبح سعادة العلماء من طرة الجناب الفاخر، وسطع نور سيادة الفضلاء من غرة الركاب الزاهر، لازالت فضائله تتلى سورها وفواضله تنقل آثارها وصورها، بالأدعية الصالحة المستجابة، والأثنية الفائحة المستطابة، ولا قطع الله عن الفقراء حميد عادته، ولا سلب الضعفاء ملابس سعادته.

نكتة:

قال بعض السياح: قلت لراهب عظنى، فقال لى: كل القوت، والزم البيوت، وعلل النفس بأنها تموت، وذكرها الوقوف بين يدى الحى الذى لا يموت.

شعر:

هب أنك قد ساويت قارون فى الغنى وساويت نوحا ثم لقمان فى العمر

ونلت الذى كان ابن داود نالـه أليس وقد صار الجميع إلى القبـر

حكاية:

روى: أن ذا القرنين رأى فى كهف لوحا من الياقوت الأحمر، على قبر فيلادوس الحكيم، مكتوبا فيه: عشت ألف سنة، وسخرت الريح والشمس والقمر، وعلمت سر الطبيعة، ومنتهى سر الخليقة، وصعدت إلى الملكوت الأعلى، فعلمت أنه لا دوام ولا بقاء، إلا لذى العزة والكبرياء، فتبارك الله خير الخالقين.

اللطيفة الثامنة والثلاثون

حرس الله تعالى إقبال مولانا، وأمتع بفضائله الجزيلة، وفواضله الجميلة، ولازالت درر المعارف مستثمرة من بحر خاطره، وغرر العوارف مستمطرة من سحب أنامله، المملوك يقبل يديه، وينهى أنه بلغه ثناؤه المستطاب المسموع، فقابله بصالح دعائه المستجاب المرفوع، ومازال المولى يجمل مملوكه بذكره، ويرفع شأنه من قدره، ويعامله بإحسان عوائده، وعرفان زوائده، فى خلواته السعيدة، وجلواته الحميدة، فى سره وجهره، ويتحفه بفضله وبره، من ورود زلاله، ووفور نواله، لعلمه بصالح دعائه، وخالص ولائه، وزكى ثنائه، وحسن انتهائه.

نكتة:

من أذل السلطان، تعرض للهوان.

شعر:

لو كان عُجْبك مثل عقلك لم يكن ... بك وزن خردلة من الإعجاب

أو كان عقلك مثل عجبك لم يكن ... أحد يفوقك من أولى الألباب

حكاية:

حكى الشيخ محيي الدين محمد بن عربى، قال: دخلت فى مقام الغربة فى المحرم من سنة سبع وسبعين وخمسمائة، وأنا مسافر ببلاد المغرب، فتهت به فرحا إذ لم أجد فيه أحداً، فاستوحشت من الوحدة، وعلمت أنه إن ظهر علىَّ فيه أحدٌ أنكرنى، ورأيت أوامر الحق تترآى إلىَّ، وسفراءه تنزل علىَّ، تبتغى مؤانستى، وتطلب مجالستى، فصليت العصر فى الحال، ونزلت عند كاتب الأمير أبى يحيى

فبينما هو يؤانسنى، إذ لاح لى ظل شخص، فنهضت إليه عسى أجد عنـــده فرجـــا، فعانقنى فتأملته، فإذا هو أبو عبد الرحمن السلمى قد تجسدت لى روحه بعثه الله إلىّ رحمةً، فقلت له: أراك فى هذا المقام؟! فقال: فيه قبضت وفيه مـــت، فأنـــا فيـــه لا أبرح، فذكرت له وحشتى فيه وعدم الأنيس، فقال: الغريب مـــستوحش، وبعـــد أن سبقت لك العناية الإلهية بالحصول فى هذا المقام، فاحمد الله تعالى، ولمن يحـــصل هذا؟! ألا ترضى أن يكون الخضر صاحبك فى هذا المقام، وقد أنكر موسى عليـــه حاله مع ما شهد الله عنده بعدالته ومع هذا أنكر عليه ما جرى منه، وما أراد سوى صورته، فحين رآه على صورته أنكر، وأوقعه فى ذلك سلطان الغيرة التى خـــص الله تعالى بها رسله، ولو صبر لرأى، فإنه كان قد أعد الله له ألف مـــسألة، كلهـــا جرت لموسى عليه السلام، وكلها ينكرها على الخضر عليه السلام.

اللطيفة التاسعة والثلاثون

وصل الكتاب الجسيم، من الجناب الكريم، كيف أوصل الـسرور والبهجـــة، وتدارك الرمق واستدرك المهجة، وحدث عن الوداد فشهد له الفؤاد بصدق اللهجة، ونسب فى الولاء إلى العبد التقصير، فاعترف أنه لم يأت مـــن حقـــوق مودتـــه إلا باليسير، لكنه والله عبد مطيع، وإن كان بالقيام بفروضه غيـــر مـــستطيع، وحاشـــا خاطره الوقاد، وفهمه البديع النقاد، أن يتوهم خللا فـــى ولاء العبـــد ووداده، وولاء دينه ونص اعتقاده، ولعل هذا التعب إنما هو لنوع من الانبساط، وإلا فعلم الكـــريم بذلك قد علم وأحاط، وقد يتحدث الإنسان، بغير ما فى الجنان، وإذا صح الاعتقـــاد، سقط الانتقاد.

نكتة:

الإنسان صنيعة الإحسان.

شعر:

وقيدت نفسى فى ذراك محبـــــة ومن وجد الإحسان قيداً تقيـــــــدا

حكاية:

حكى عن بعض الفقراء: أنه لقى بعض الأبدال فى سياحته، فأخذ يذكر له ما الناس فيه وعليه، من فساد الأحوال فى الولاة والرعايا، فغضب البدل، فقال: ما لك وعباد الله تعالى، لا تدخل بين السيد وعبيده، اشتغل بنفسك، وأعرض عـــن هـــذه الأشياء، وخلِّ بين الوالى ورعيته.

اللطيفة الأربعون

أدام الله تعالى سعادة الجناب الفاخر، ولازالت الأيام عنه راضية، والأقـدار بيسره مطالبة ومراضية، والسعادة مزينة ساعية، والسيادة به زاهية، وألطـاف الله تعالى مسترعية وراعية، العبد يقبل الأرض وينهى أنه وقف على كتاب من كلامه، ونثره البديع ونظامه، يستوقف الأبصار ويحير البصائر، وتتحاسد عليه الأسـماع والنواظر، ويعجز عن وصفه الواصف الحاضر، ويعود طويل الثناء عن قدره وهو المتقاصر، فعوَّذه بالمثانى، وقال لمثلى: هـذا فليعـانِ المعـانى، وأطربـه غايـة الأطراب، وأماله سكرا ويحق له الإسكار لا الشراب، وجعل يديم فكره فيه ويرويه، ويتردد فيه بين سحر حلال يرويه، وعذب زلال يروِّيه، فلله در كلامه الذى نشـره فى عقد المعجزات ثاقب، ونظمه بالعقول والألباب غائب.

نكتة:

المداراة، توجب المصافاة.

حكاية:

حكى أنه: لما مات أنوشروان، كان يطاف بتابوته فى جميع مملكته، وينادى: من له علينا حق؟ فلم يوجد أحد فى ولايته له عليه درهم.

اللطيفة الحادية والأربعون

العبد يخدم بدعائه وثنائه، ما هو عليه من رق عبوديته وولائه، الذى هو عروته الوثقى، وسعادته التى يأمن بها أن يشقى، وفطرته التى فطر عليها، وقبلته التى لا تتوجه آماله إلا إليها، وقلبه السليم، ودينه القويم، له بذلك من أجل الشهود، ولقد أسنى بذكر حجته، وإنما تقام الحجة بعد الجحود، فيا سعادة من سما ناظره إلى جنابه الأسمى، ويا فوز من نال الشرف بخدمته بابه فسما، فالسعادة بـه شـاملة، والسيادة إليه نازلة، زاده الله رفعة وسمواً، وحامل هذه العبودية ينوب عن العبد فى شرح حال ولائه، الذى يعجز القلم عن بثه وإنهائه، وهو والله ثقة أمين، لا يحرف فى شهادة ولا يمين.

نكتة:

من كتم سـره، أحكم أمـره.

شعر:

لا تودع السر إلا عند ذى كـرم ... والسر عند خيار النـاس مكتـوم

حكاية:

حكى عن أنوشروان: أنه لما بعث بَرْزَوَيْهِ الحكيم إلى بلاد الهنـد لانتـساخ كليلة ودمنة، أعطاه من المال خمسين جراباً، فى كل جراب عشرة آلاف دينار، وقد صح بشهادة الحكماء، وأهل التواريخ من العلماء: أن أرسطو هـو أول مـن دون المنطق، وقد بذل له خمسمائة ألف دينار، وأدرَّ عليه كل سنة مائة وعشرين ألـف دينار، وأما برزويه الحكيم فإنه لما استخرج كتاب كليلة ودمنة من بلاد الهند، نقله

من الهندية إلى الفارسية لكسرى أنوشروان ملك الفرس، ونقله من الفارسية إلى العربية عبد الله بن على الأهوازى ليحيى بن خالد البرمكى، فى خلافة المهدى، وذلك فى سنة خمس وستين ومائة، وقد نظمه سهل بن أنوبخت الحكيم ليحيى بن خالد البرمكى المذكور وزير المهدى والرشيد، فلما وقف عليه ورأى حسن نظمه أجازه على ذلك ألف دينار، وقد صنف سهل بن هارون للمأمون كتابا ترجمه بكتاب ثعلة وعفرة، يعارض فيه كتاب كليلة ودمنة فى أبوابه وأمثاله، وقال على بن شاه الفارسى: قد وضع بيدبا الفيلسوف الهندى، لديشلم ملك الهند كتاب كليلة ودمنة المذكور، وجعله على ألسن البهائم والوحوش والطيور، تنزيهاً للحكمة وفنونها، ومحاسنها وعيونها، وصيانة لغرضه الأقصى من العوام، وللأغبياء الطُغام.

شعر:

رأى أهل الهوى تلويح صب — من التصريح أولى بالصواب

فإن جنة الأسرار، جلت أن تكون مسلكا لعصاة الأشرار، فإن من تباهى بالمناهى، وتلاها بالملاهى، ما له فى غياض المعارف مسرح، ولا رياض العوارف مسنح، وقد أسرع الحكماء إلى إجابته، وأجمع الفضلاء على إصابته، وقد ذهب إلى مضاهاته جماعة من الحكماء فطافوا فى تحصيلها فَلَوات الجنان، ورفضوا فى خدماتها لذات الحسان، ومارسوا الدفاتر فى صيد فوائدها، وسامروا المحابر فى قد زوائدها، حتى وصلت إلينا من الحكماء الأخيار، أولى الأيدى والأبصار، ولله در القائل

شعر:

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة — لعمرى شفيت القلب قبل التندم

ولكن بكيت قبلى فهيج لى البكى بكاها فقلت الفضـــل للمتقـــــدم

صنف فى هذا الباب، جماعة من أولى الألباب، من الحكماء الكرام، والفطناء العظام، صحفا وافية، وملحا شافية، محتوية على حكايات غريبة، وأخبار عجيبـــة، منطوية على مناهج ذوقية، ومباهج شوقية، إلى غير ذلك من المعـــارف الغريبـــة، والعوارف الأريبة، والأسرار الفرقانية، والآثار العرفانية، غير أن صاحب كليلـــة ودمنة هو الذى كان أول فاتح لهذا الباب، وأقدم حائك لهذا الجلباب، وكل ما صنف بعده من نوادر الحكايات، وفرائد الكنايات، فقبس من ضياء أنواره، وملتمس مـــن ثناء آثاره، إلى أيام ظهور الخلفاء، الفضلاء الظرفاء، الـــذين أصـــبح بهـــم بحـــر الدلالات طرقا فجاجا، حتى أصبحت عيون أخبارها جاريه، وفنون آثارها ســـارية، ورياض صحائفها زاهرة، وحياض لطائفها زاخرة، فثمرات الفوائد مـــن حـــدائقها تجتنى، وزهرات الزوائد من حقائقها تقتنى، وكواكب الأنوار من نواحيهـــا تطلـــع، ومواكب الأسرار من ضواحيها تلمع، وإلى جمال معانيها تميل الطباع، وعلى كمال مبانيها انعقد الإجماع، لما لها من الأزاهر الدانيـــة للقطـــاف، والأنهـــار الـــصافية النظاف، ولله در القائل.

شعر:

أتى الزمان بنوه فى شبيتـــــه فسرهم وأتينـــــاه علـــــى هـــــرم

اللطيفة الثانية والأربعون

وردت المخاطبة الشريفة، والمكاتبة المنيفة، من سـامى الجنـاب، حـامى الركاب، أدام الله علوه وعلاه، وكبت حسدته وأعداه، وحرس من المكاره والآفـات مناه، مودعة جوامع سره وإحسانه، حاوية لمواسم تفضه وامتنانه، دالة على خبـر سلامته التى هى أمنية النفس، وكمال مسرة الأنس، فقرأتـه وأحطـت بمـضمون مطاويه، واطلعت على مكنون محاويه، علما بمعانيه وفهماً لمثانيه، وذلك من جملة فضائله المعدودة، وفواضله المعهودة، التى لا يزال يقلدها أوليـاءه، ويحلـى بهـا أصفياءه، فأحسن الله عن حميد مواهبه جزاءه، وأطال الأصناع المعانى بقاءه، وأدام فى درج الإقبال والسعادة ارتقاءه، والاعتماد على فضله وكرمه، ومحاسن شـيمه، أن يطلع العبد فى كل وقت بنبأ أخباره، ويقترح عليه ما يبدو من موانح أوطاره.

نكتة:

النفس حيـةٌ تسعـى، مادامت حيـةً تسعـى.

حكاية:

حكى الشيخ شمس الدين محمد الوقاد الموصلى، قال: لما ورد الـشيخ فخـر الدين الرازى مدينة هراة، نصب له فى صدر الجامع منبر وكنت حاضرا فى ذلـك المجلس، وإلى جانبى شرف الدين بن عنين الشاعر، والشيخ فخر الدين فى صـدر الجامع وحوله مماليكه يمنة ويسرة، فتكلم الشيخ بما فى النفس بأبلغ عبارة، وأعذب إشارة، فبينما هو فى ذلك المجلس، وإذا بحمامة فى دائرة الجامع ووراءها صـقر يكاد يفترسها، وهى تطير فى جوانبه إلى أن أعيت فدخلت الإيوان الذى فيه الشيخ

ومرت طائرة بين الناس إلى أن رمت بنفسها عنده ونجت، فنهض شرف الدين بن عنين، واستأذنه فى أن يورد شيئا قد قاله فى المعنى على البديهة، فأذن له فقال:

شعر:

جاءت سليمان الزمان حمامـــة والموت يلمع من جناحى خاطـــف

من نبَّأ الورقـــاء أن محلكـــم حرم وأنتـــم ملجـــأ للخائـــف؟!

فطرب لهما الشيخ فخر الدين، وأدناه وقرب مجلسه، وبعث إليه لما قام مـــن مجلسه خلعة كاملة، ودنانير كثيرة، وبقى دائما محسنا إليه، وذكر شرف الدين بـــن عنين: أنه حصل له من جهة الشيخ فخر الدين فى بلاد العجم نحو ثلاثـــين ألـــف دينار، وكان الشيخ فخر الدين الرازى إذا ركب يمشى حوله ثلاثمائة تلميـــذ فـــيهم فقهاء وغيرهم، وكان خوارزم شاه يأتى إليه، رضى الله تعالى عنه.

اللطيفة الثالثة والأربعون

شعر:

رمدت مقلتى بطبول بكاها بدموع تفيض فيض السحاب

لما هجرت العيون الهجوع، قرح الأجفان فيض الدموع، غدوت ألتمس عند الأطباء دواءها، وأشكو إلى الأسَاة داءها، فوجدت شفاءها فى غاية التعذير، وبرأها فى نهاية التعسير، فمرض لمرضها قلبى، وازداد لألمها كربى، حتى فتح الله لى باب الفرج، وسهل على أسباب النهج، بورود الكتاب المسطور، الصادر عن الجناب المعمور، أدام الله علوه، وزاد فى درج المعالى سموه، ما اتصل الودج بالوريد، ودامت الشدة فى الحديد، وما تحسرت عنى غمامة كل غمة، وانبعثت عن ناحيتى هفوة كل همة، فداويت رمد الأجفان بحبر الكتاب، وجراحة الأحشاء باستعذاب الخطاب.

شعر:

لو يعلم الحكماء ما فتى طيّه من صحة موجودة وشفاء
جعلوه معتمدا لهم وشفوا به مرض الخليقة دون كل دواء

نكتة:

قيل: الجود، أعز موجود، وقال بعض العلماء: ليس بلبيب، من لم يصف علته للطبيب.

حكاية:

حكى أن الموائد قدمت بين يدى الرشيد فى بعض الأيام، وإذا بجبريـــل بـــن بختيشوع قد دخل عليه، فسأله عن حال إبراهيم بن صالح، فأخبره أنه فى آخر رمق وأنه يقضى عليه وقت صلاة العشاء، فأقبل الرشيد على البكاء، وأمر برفع الموائد فرفعت، فقال جعفر البرمكى: يا أمير المؤمنين! لو أحضرت صالح بن بهلة الهندى ثم وجهته إلى إبراهيم بن صالح لتفهم عنه ما يقول، فأمر بإحضاره وتوجهه إليـــه ورده بعد منصرفه من عنده، ففعل ذلك جعفر، ومضى صالح إلى إبراهيم بن صالح حتى عاينه وجس عرقه، وسار إلى جعفر فسأله عما عنده من العلم، فقال: لـــست أخبر بالخبر غير أمير المؤمنين، فدخل جعفر على الرشيد، فأخبره بحضوره، فأمره بإحضاره، فدخل ثم قال: يا أمير المؤمنين! أنا أشهدك، وأشهد من حضر على نفسى أن إبراهيم بن صالح إن توفى فى هذه الليلة، أو فى هذه العلة؛ كانت امرأته طـــالق ثلاثا، فسُرِّى عن الرشيد ما كان يجد، وطعم وأحضر له الشراب فشرب، فلما كان وقت صلاة العشاء ورد الخبر بموت إبراهيم بن صالح على الرشـــيد، فاســـترجع وأقبل على جعفر باللوم فى إرشاده إلى صالح بن بهلة، وبكـــر إلـــى دار إبـــراهيم وجلس على البساط، ووقف صالح بن بهلة بين يدى الرشيد، فلم يناطقه أحد إلى أن سطعت روائح المجامر، فصاح عند ذلك صالح، وقال: الله الله يا أمير المؤمنين أن تحكم على بطلاق زوجتى، ولم يلزمنى حنث، ثم الله والله أن تدفن ابن عمك حيـــا، فوالله يا أمير المؤمنين ما مات، فأطلق لى الدخول عليه، والنظر إليه، فـــأذن لـــه بالدخول وحده، قال الراوى: فسمعنا صوت ضرب بالأكف، ثم انقطع عنـــا ذلـــك الصوت، فخرج إلينا صالح، وقال: قم يا أمير المؤمنين حتى أريك عجبا، فدخل إليه الرشيد، فأخرج صالح إبرةً كانت معه، فأدخلها بين ظفر إبهام يده اليسرى ولحمه، فجذب إبراهيم بن صالح يده وردها إلى بدنه، فقال صالح: يا أمير المـــؤمنين هـــل

يحس الميت بالوجع؟ فقال الرشيد: لا، فقال له صالح: لو شئت أن يكلم أمير المؤمنين الساعة لكلمه، فقال له الرشيد: فأنا أسألك أن تفعل، فقال : يا أمير المؤمنين أخاف إن عالجته وأفاق، وهو فى كفن فيه رائحة الحنوط أن يتصدع قلبه فيموت موتا حقيقيا، فلا يكون لى فى إحيائه حيلة، ولكن يا أمير المؤمنين مر بتجريده من الكفن ورده إلى المغتسل وإعادة الغسل عليه، حتى يزول رائحة الحنوط عنه، ثم يلبس مثل ثيابه التى كان يلبسها فى حال صحته ويحول على فراشه الذى كان يجلس عليه، وينام فيه حتى أعالجه بحضرة أمير المؤمنين، فإنه يكلمه من ساعته، قال: ففعل به ذلك ثم صار الرشيد، ودعا صالح بكندس ومنفحة من الخزانة، ونفخ الكندس فى أنفه، فمكث مقدار سدس ساعة، ثم اضطرب بدنه وعطس، وجلس قدام الرشيد، وقبل يده، وسأله عن قصته، فذكر أنه كان نائما نوما لا يذكر أنه نام مثله قط طيبا، إلا أنه رأى فى منامه كلبا قد أهوى إليه، فتلقاه بيده فعض إبهام يده اليسرى عضةً انتبه وهو يحس وجعها، وأراه إبهامه التى كان صالح دخل فيها الإبرة، وعاش إبراهيم بعد ذلك إلى أن تزوج العباسية بنت المهدى وولى فلسطين ومصر، وتوفى بمصر رحمة الله عليهم أجمعين.

اللطيفة الرابعة والأربعون

شعر:

أتانى منك مكتوب رأيـــت من البلاغة فيه أجـــزا
كتابٌ كلما أملت أن أرد جوابـــه أمسكت عجـــزا

سحاب سرور جاد، وعيد فرج عاد، بالسطور التى هبت علىّ ريحها وأشرقت لدى مصابيحها، من طُرَّة ضياء الصَّبَاح، وغرة بَهَا الصَّبَّاح، شيّد الله مبانى سعاداتها، وجعل الأيام طوع إرادتها، فى عزّ لا تخبو ناره، ولا تفيض بحاره فكانت عندى أحظى من الربح بعد الخسر، وأحلى من اليسر بعد العسر، فطفقت أجتلى مرحاً، وأجر ذيول الصبا فرحا، ابتهاجا بهذا المسطور، وسرورا بهذه السطور. هذا كتاب لو أتى ميتا لرد إليه روحا، لكن صنته من أن يفوحا. ووجدته سولى الذى أهوى فكنت به شحيحا. إلا أنه زادنى.

نكتة:

من استشار ذوى الألباب، سلك سبيل الصواب.

حكاية:

حكى أبو البدران للشيخ عبد القادر الجليلى: ذكر بين يدى الشيخ أبى السعود ابن الشبلى، فأطنب فى ذكره، وفى الثناء عليه، وأفرط فى ذلك، فقال الشيخ أبو السعود للمتكلم: أنت تحب تعرفنا بمنزلة عبد القادر؛ كالمنتهر له، والله إنى لأعرف حال عبد القادر، وكيف كان مع أهله، وكيف هو الآن فى قبره رضى الله عنهم أجمعين.

اللطيفة الخامسة والأربعون

شعر:

الشوق فوق الذى أشكو وهــــل تخفى عليك صباباتى وأشواقـــــى

إن كنت بنت فعندى منك نار جوى لا تنطــق وغــرام ثابـــت باقى

ليس الشوق وإن وصفت لك فنونه، وكشف إليك فى الشكوى مكنونــه، فمــا يحصيه كلام، ولا يحده القرطاس ولا الأقلام، وكيف يحصى مــن رســوم شــوقه مفقودة، وجباله مسدودة، بمن إذا تبسم عن ثغر نقى، وإذا نظر نظر مــن طــرف خفى، رفع الله منار مجده، وأضرم نار وجده، فى سعادة سابقة الخيــول، ســابغة الذيول، وأشكو إليه من الوحشة ما هدم بناء أنسى، وأظلم ضياء شمسى، ولقد كانت ساعات قربه كلها سرورا، وعيشة كله رغد، وسروره لم ينله أحد، حتى مد الزمان الفراق إلينا، ونصر جند التشتيت علينا، فأذاقنا بعد حلاوة الاتفاق، مرارة الفــراق، وغشنا بعد نور الاجتماع، بظلمة الوداع، وإن الذى علم بذلك وقــضاه، واختــاره وارتضاه، لقادر على تجديد ما تمزق، وجمع ما تفرق، وإعادة ســاعات الرضــا، والزمان الذى انقضى، إنه منتهى كل سؤال، ومغير حال بعد حال.

شعر:

ألا يا نسيم الريـــح محسنـــا تحمل على أرض الحبيب سلامــــى

وبلغهم أنــــى رهين صبابـــة وأن غرامى فوق كـــل غـــرام

فإن رمدت عينى تداويت منكــم بنظرة عين أو بسمــــع كـــــلام

ولست أبالى بالجنان ولا لظـــى إذا كان فى تلك الديـــــار مقامــى

نكتة:

إذا طلبت العز فاطلبه فى الطاعة، وإذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة.

حكاية:

حكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه: أنه حفر قبرا فرأى فيــه إنساناً جالساً على سرير وبيده مصحف وهو يقرأ.

اللطيفة السادسة والأربعون

شعر:

إن تبك عينى دما فلا عجــــب	قد فارقــــت نــــورها وقوتهـــا
وباعدت نفسى الحيـــاة كمـــا	تباعــــدت بعدكـــم مسرتهـــا

ما وجده آدم من الندامة، عند خروجه من دار الكرامة، ولا لقى يوسف فــى غيابة الجب، ولا حزن يعقوب من كآبة الحب، ما وجدته عند ارتحالى عن ســيدنا مع الزيادة فى السيادة له مكانا عليا، وترادف نعم الله عليه بكرةً وعشياً، ومد عليه ظلال الجلال، وأمطر حساده وابل الوبال، بأكرم نبى وأشرف آل، ولم يزل القلــب على نار الجمر يتقلب، والدمع لمضاضة ساعة الفراق يتصبب، ولولا ما أؤمله من سماحة الأقدار، وتقرب الديار، ودنو المزار، لكدت أقضى نحبى أسفا، وأسقط مــن سما الإخوان كسفا، وأبتهل إلى مالك الملك، ومدبر الأفلاك والفلك، أن يجمعنى به على أوفق مراد، إنه سبحانه وتعالى كريم جواد.

شعر:

ستغفر أيــام التدانى بوصلهـــا ذنوب ليالى الصد عنــد التواصـــل

نكتة:

الشوق بحر لا ينال ساحله، ووقر لا يعان حامله.

شعر:

حملت من الأشواق ما لو قسمته على كل أهل الأرض ناءوا به حملا

وهذا آخر كتابى المسمى: "مناهج التوسل، فى مباهج الترسل" المشتمل على فوائد مفيدة، وفرائد فريدة، معانى فوائحه مسكيه، ومثانى فواتحه مكية، من نظـر إلى بديع صورها، ورفيع سورها، عثر على كنوز دررها، ورموز غررهــا، فــى خبايا فنونها، وخفايا مكنونها، وتسلق من مدارج بوانيها، إلى معارج غوانيها، التى لا يفتح باب قصورها، ولا يرفع حجاب سورها، إلا من كان حديد البصر، شــديد النظر، فمن حل عقد إشاراتها، وفك حل إشكالاتها، التى لا يهتدى إليهــا إلا نقــاد البصيرة، ولا يقتدى بها إلا وقاد السريرة، وتطرق من حدائق أزهارها، وشــقائق أنوارها، إلى الجنان الحسان، ذوى العيون والأفنان، التى لا ينفك مناضد غررهــا، ومعاقد دررها، إلا من بات قليل الرقاد، جزيل السهاد.

شعر:

ومن يخطب الحسناء من غير أهلها بعيد عليــه أن يفوز بوصلهـــا

حكاية:

حكى عن عبد الله بن مرزوق: أنه كان من ندماء الخليفة المهدى، فسكر يوما ففاتته الصلاة، فجاءت جارية له بمجمرة فى طاسة، فوضعتها على رجله، فانتبــه مذعورا مرعوبا، فقالت له: إذا أنت لم تصبر على نار الدنيا، فكيف تصبر على نار الآخرة؟ فقام وصلى الصلاة، وتصدق بجميع ما يملكه، فذهب إلى البصرة، فــدخل عليه الفضيل يوماً وابن عيينة، وإذا تحت رأسه لبنة وما تحت جنبه شيء، فقالا له: إنه لم يدع أحدٌ شيئا لله إلا أعطاه الله عنه بديلا، فما عوضت عما تركت له؟ قــال الرضا بما أنا فيه.

وحكى أيضا: أنه وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك، فشكا إليــه حالته، فقال ألست القائل:

شعر:

لقد علمت وما الإسراف من خلقى — أن الذى هو رزقى سوف يأتينــى

أسعى إليه فيعيينــــى تطلُّبــــه — ولو قعدت أتانــــى لا يعنّينــــى

وقد جئت من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق؟! فقال: يا أمير المــؤمنين! لقد وعظت فأبلغت، وخرج فركب راحلته وكدَّها إلى الحجاز راجعا، فلما كان مــن الليل أرق هشام على فراشه، فذكر عروة، فقال: رجل من قريش قال حكمة فجبهته ورددته خائبا، فلما أصبح وجَّه إليه بألفى دينار، فقرع عليــه الرســول بــاب داره بالمدينة، وأعطاه المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين السلام، وقل لــه: كيــف رأيــت قولى؟ سعيت فأكديت، فرجعت فأتانى رزقى إلى منزلى، وفى مثــل هــذا أنــشد بعضهم.

شعر:

إن ضن زيد بما فى بطن راحته فالأرض واسعة والرزق مبســـوط

إن الذى قدر الأرزاق حكمتـــه لم ينسنى قاعدا والرزق محطـــوط

وحكى عن بشر بن الحارث رحمه الله: أنه قال: خرج فتى فى طلـــب رزق فبينما هو يمشى فأعيا، فآوى إلى خرابة ليستريح فيها، فبينما هو يـــدير بـــصره إذ وقعت عيناه على سطر مكتوب فى حائط.

شعر:

إنى رأيتك قاعـــدا مستقبلـــــى فعلمت أنـــــك للهمـــوم قرين

هون عليك وكن بربك واثقـــا فأخو التوكل شأنـــــه التهويـــن

طرح الأذى عن نفسه فى رزقه لما تيقـــن أنـــه مضمـــون

قال: فرجع الفتى إلى بيته، وقال: اللهم أدِّبْنَا. **شعر:**

ولا تجزع إذا أعسرت يومـــا فإن الله أولـــــى بالجميـــل

فان العسر يتبعـــه يســـار وقول الله أصـــدق كل قيـــل

ولو أن العقول تسوق رزقـــا لكان الرزق عنـــد ذوى العقـــول

قال شقيق البلخى: قال إبراهيم بن أدهم: أخبرنى عما أنت عليه، فقلـــت: إن رزقت أكلت، وإن منعت صبرت، قال: هكذا تعمل كلاب بَلْخ، فقلت: كيف تعمـــل أنت؟ قال: إذا رزقت آثرت، وإذا منعت شكرت. **شعر:**

هى القناعة فالزمها تعش ملكـــا لو لم يكن منك إلا راحة البـــدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعهـــا هل راح منها بغير القطن والكفـــن

والحمد لله بلا غايةٍ، وله الشكر بلا نهايةٍ، وصلى الله على من جوامع أخباره ربانية، ولوامع أنواره رحمانية، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. **شعر:**

تم الكتـــــاب تكاملــــــت نعم الســـــرور لصاحبـــــه

وعفـــــا الإلـــه بجــــوده وبفضـــــله عــــن كاتبـــه

وأيضا مثله:

مذنـــب خطَّـــهُ عســـــى دعـــــوةٌ غيــــر خائبـــــة

رحـــــم اللـــه قائــلا رحـــــم اللـــه كاتبـــــة

المحتويات